

الكويت ٥٠٠ فلس. السعودية ٥ ريالات. البحرين ٦٠٠ فلس. قطر ٦ ريالات. الإمارات ٦ دراهم. سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة. الأردن دينار. لبنان ٣٠٠٠ ليرة. المغرب ١٥ درهماً
USA $ 3 - Canada $ 4 - Australia AUD 4 - URB - India INR 65 - Pakistan PRS 65 - Turkey TRY 4,5 - U.k £ 2

بسم الله الرحمن الرحيم



AL-MUJTAMA'A

إسلامية. أسبوعية تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

العـدد ١٩٤١ السنة (٤١)

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٠/٨/١٤٢٧هـ ـ ٣/٩/٢٠٠٦م
عبدالله علي المطوع

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
حمود حمد الرومي

نائب رئيس التحرير
محمد الراشـد

مدير التحرير
شعبان عبدالرحمن

المخرج الفني
مجدي شافعي

موقع المجتمع على الإنترنت:
www.magmj.com

المراسـلات
العنوان البريدي : الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
بريد التحرير الإلكتروني :
mujtamaa@gmail.com
info@almujtamaa.com
www.magmj.com
موقع جمعية الإصلاح:
www.eslah.com
هاتف التحرير: ٢٢٥١٩٥٣٩ - ٢٢٥١٤١٨٠.
٢٢٥١٣٦١٦ . ٢٢٥٢٨٦٨٤ (داخلي ١٠٥).
فاكس المجلة : ٢٢٥٦٠٥٢٤ - ٢٢٥٢١٨٢٦
الاشتراكات والتوزيع : ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦
sales@almujtamaa.com

في هذا العدد



الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج:
٢٠ ديناراً كويتياً أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
١٠٠ دولار أمريكي.
للمؤسسات والشركات:
٤٥ ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
١٥٠ دولاراً أمريكياً.

الإعـلانات :

امتياز الإعـلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكـــويت: شركة الخليـــج:
ت: ٢٤٨٤١٠٦٧ ـ ٢٤٨٤١٠٤٥
ف: ٢٤٨٤١٠٢٦ ـ ٢٤٨٣٦٦٨٠

السـعـودية:
الشركة السـعـودية للتوزيع:



www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض: ٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩ - فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

رأي



حق الشعوب في الثورة على الطغيان

تجتاح ثورة الشعوب العربية المقهورة العديد من البلدان العربية؛ دفاعاً عن الحقوق، وتحريراً للبلاد من الضيم والقهر والطغيان، ومقاومة انتهاكات حقوق الإنسان، والسطو على ثروات البلاد ومقدراتها، وهي الثورة التي أحدثت انقلاباً كبيراً في الواقع العربي المرير، وقدّمت صورة جديدة وناصعة للإنسان العربي غيّرت الصورة النمطية القديمة، وهو ما فاجأ الغرب والشرق معاً، وجعله (الغرب) يقف مشدوهاً باحترام للشعوب العربية، ويعيد التفكير في نظرته وموقفه وقناعاته بالإنسان العربي.

لقد أثبتت تلك الثورات التي امتدت من تونس إلى مصر إلى ليبيا واليمن.. أن الإنسان العربي مهما طال به الظلم والطغيان؛ فلابد أن ينتفض ويكسر حواجز الخوف والقهر، ويقتلع الطواغيت من جذورهم، وأثبتت تلك الثورات أن الإنسان العربي يقدم نفسه رخيصة في سبيل حريته وتحرير بلاده واسترداد حقوقه من الطغم الظالمة.. وتأكد للكافة أن الليل مهما طال؛ فلابد من بزوغ الفجر.

إن هناك حقيقة اجتماعية وسياسية بل وفطرية، تؤكد أن الأصل في حكم الشعوب هو التراضي والتفاهم والاستقرار على عقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم، وأثبت التاريخ أن الاستقرار على ذلك العقد يحقق الاستقرار في المجتمعات، ويقوي العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وكلما تمت رعاية واحترام ذلك العقد؛ نعمت المجتمعات بالاستقرار والهدوء والرفاهية.. وإن دولة الكويت خير مثال على ذلك؛ فهي تعيش منذ ثلاثمائة وخمسين عاماً مستقرة هادئة بعد أن استقر الشعب والحكام على عقد اجتماعي واضح؛ حدد سلطات الحاكم، وأقرّ بكل حقوق الشعب في الحرية والديمقراطية، وصان حقه الإنساني، وراعى العدالة الاجتماعية، وأفرز برلماناً منتخباً انتخاباً حراً يمارس حقوقه الدستورية.. أما عندما يمتص الحاكم حقوق الشعب، ويفرض عليهم سياجاً دكتاتورياً من حديد، فلابد من تفجُّر الثورات المطالبة برحيله.

ومن ناحية أخرى، فإن امتطاء الطائفية - كما حدث في البحرين مؤخراً - لأي احتجاجات تفقدها زخمها ومصداقيتها، وتضع البلاد في حالة شدّ وجذب بين طائفية وأخرى، وتقسّم الشعوب وتثير الخلافات والبلبلة؛ ولذا، فإن امتصاص التحرك الطائفي وتحويله إلى عمل شعبي موحد على أجندة واضحة للإصلاح في البلاد، يتم التقدم بها للنظام الحاكم والتباحث والتفاهم حولها؛ هو أجدى من الدخول في صدامات طائفية دامية.

إن من حق الشعوب التحرك والانتفاض والثورة للمطالبة بحقوقها المشروعة في الحرية والعدالة والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وذلك حق الشعوب مجتمعة.. أمّا أن تتحول المسألة إلى مطالبات فئوية أو احتجاجات طائفية؛ فذلك يضر أكثر مما ينفع، فلتكن الشعوب على قلب رجل واحد، وفق أجندة مطالب واحدة تعود بالنفع عليها بكل طوائفها وقواها السياسية دون تمييز.■



﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾

(سورة الحج)

قطر:
مكتبة الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع / ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣
المغرب:
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء. ص.ب ١٣٠٠٨. الدار البيضاء الرئيسة
ت: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢٠٠ فاكس: ٠٠٢١٢٢٢٢٤٩٢١٤

U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883.

«حدس» تطالب بسرعة معالجة قضية «البدون» وتدين العنف في ليبيا والبحرين

قالت الحركة الدستورية الإسلامية (حدس): إن التعامل الأمني مع فئة «البدون» لم ينجح بحل القضية لسنوات طويلة، واستخدام العنف من أي طرف أمر مخالف للدستور ومواثيق حقوق الإنسان، والحكومة مطالبة بمعالجة الجوانب الإنسانية والقانونية لفئة «البدون» بصورة جادة وسريعة، بدون أي تجاوز للدستور وسيادة الوطن وحقوق المواطنين.


د. ناصر الصانع

ومن ناحية أخرى، أدانت الحركة الدستورية الإسلامية العنف ضد المتظاهرين في ليبيا.

وقالت في بيان لها يوم السبت الماضي: نشعر بقلق بالغ بسبب أنباء تعرض المتظاهرين الليبيين العزل لعنف اللجان الثورية والمرتزقة المسلحين، وسط تعتيم إعلامي وحقوقي كبير، ولا ننسى مواقف نظام «القذافي» المشينة ضد الكويت وشعبها.

كما استنكرت «حدس» العنف في البحرين، ودعت إلى عدم الانجرار إلى الفتنة الطائفية.

وقالت في بيان لها يوم السبت الماضي: نشعر بقلق بالغ لمستجدات الأحداث في مملكة البحرين الشقيقة، ونتمنى لشعب البحرين الاستقرار والازدهار، ونوصي الأشقاء في البحرين بعدم الانجرار أو الوقوع في فخ وأجندات الفتنة الطائفية، وقد آلمتنا الخسائر في الأرواح والجرحى والدمار في مرافق الدولة، وندين أي استعمال للعنف أياً كان مصدره، وندعم حق الشعوب في التظاهر السلمي والمطالبة بالإصلاحات السياسية شريطة عدم التعدي والتخريب.■

«مشعل» يثمّن موقف سمو أمير البلاد الداعم للقضية الفلسطينية

ثمن رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» خالد مشعل موقف سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الداعم للشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، وتحقيق المصالحة الفلسطينية - الفلسطينية.


خالد مشعل

وقال «مشعل» في تصريح لوكالة الأنباء الكويتية (كونا) بمناسبة احتفالات دولة الكويت بالذكرى الخمسين للاستقلال، والذكرى العشرين للتحرير، وذكرى مرور خمس سنوات على تولى سمو الأمير مقاليد الحكم قال: إن لسمو الأمير جهوداً متميزة ومحاولات مخلصة لرأب الصدع الفلسطيني وإنهاء الانقسام.

وأعرب عن تقديره لمواقف سمو الأمير تجاه القضية الفلسطينية ودعم صمود الشعب الفلسطيني، متمنياً للكويت أن تنعم دائماً بالأمن والأمان والاستقرار والازدهار، وأن تظل عنصراً فاعلاً في الأسرة العربية والإسلامية.

وقال «مشعل»: إن أهل فلسطين في الضفة وغزة يذكرون الأيادي البيضاء للكويت ولمؤسساتها الخيرية، ولمواقف الحكومة الكويتية في دعم الشعب الفلسطيني بمختلف أشكال الدعم.■

أبرار الرومي: تعزيز الانتماء الوطني من خلال العمل التطوعي

شدّدت مديرة نادي «سنايا» للفتيات، التابع للجنة النسائية في جمعية الإصلاح الاجتماعي، أبرار الرومي على أهمية العمل التطوعي وتعزيز مفهومه لدى النشء؛ بما يعمق شعور الفرد بانتمائه إلى المجتمع وقيمه بصورة مثلى، ترقى إلى أن يتمثل هذا الشعور في سلوكه عبر الدفاع عن وطنه ومكتسباته، وتفاعله إيجابياً مع أفراد المجتمع بشكل يسهم في إفراز مواطنين صالحين.

وقالت أبرار الرومي في تصريح صحفي عقب اختتام فعاليات المخيم الربيعي للفتيات من عمر ١١ - ١٣ سنة، الذي أقيم تحت شعار « لنجعله أجمل وطن»: إن المخيم الربيعي أتاح للفتيات الاعتماد على أنفسهن واستثمار أوقات فراغهن بما ينمي قدراتهن العلمية والعملية في كل المجالات؛ روحياً وبدنياً واجتماعياً، وبشكل يسمح باكتشاف المواهب وتنميتها، ويجسد الوحدة الوطنية، والمساهمة في رفع مستوى التنمية البشرية في البلد، منوهة بأن ترسيخ حب الوطن وتعزيز صور الولاء يتم عن طريق التنشئة الاجتماعية والتربية الوطنية، وتشرّب القيم والعادات والتقاليد.■

الكويت تتبرع بـ٣٠٠ ألف دولار للمركز الثقافي الإسلامي بلندن

قدمت الكويت تبرعاً للمركز الثقافي الإسلامي في لندن بقيمة ٣٠٠ ألف دولار لدعم نشاطات المركز.

وقدم سفير دولة الكويت في المملكة المتحدة خالد الدويسان التبرع لرئيس مجلس أمناء المركز سفير دولة قطر لدى المملكة المتحدة خالد المنصوري، وذلك في احتفال أقيم في مقر المركز في منطقة «ريجنت بارك» وسط العاصمة لندن.

وقال السفير الدويسان: إن هذا التبرع يعتبر مساهمة بسيطة من جانب دولة الكويت، وإقراراً واعترافاً بالدور المتميز لهذا الصرح الإسلامي الكبير في المملكة المتحدة.

وأضاف: «إننا نعتز ونفتخر بهذا المركز الذي يبرز وجه الدين الإسلامي الحنيف الحقيقي»، مشيداً بالدور الذي لعبه المركز؛ حيث اضطلع خلال الفترة العصيبة الماضية بدور مهم؛ ساهم في شرح تعاليم الدين الإسلامي الحقيقي، والاعتدال الذي يتمثل به في كل فروعه، مؤكداً أن هذا الدور كان مبعث ارتياح الحكومة والشعب البريطاني.■

٥ سنوات على تولي رجل الصلاح والكفاءة ولاية العهد

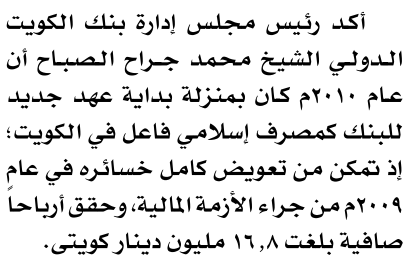
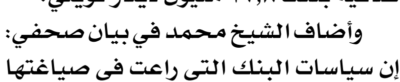

الشيخ نواف الأحمد

تزامنا مع احتفالات الكويت بالذكرى الـ٥٠ للاستقلال، والذكرى الـ٢٠ للتحرير، ومرور خمس سنوات على تولي صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد مقاليد الحكم في البلاد.. تحل الذكرى الخامسة لتولي سمو الشيخ نواف الأحمد منصب ولاية العهد، الذي يعد أحد أبرز من عاصر مسيرة بناء دولة الكويت منذ الاستقلال.

وكان سموه قد أدى اليمين الدستورية أمام سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م، وبايعه مجلس الأمة بالإجماع في جلسة خاصة عقدت في ذلك اليوم.

وأثنى جميع النواب خلال جلسة المبايعة على اختيار سمو الشيخ نواف الأحمد لولاية العهد، مؤكدين أن سمو الشيخ نواف «رجل يجمع على محبته الشعب الكويتي»، معتبرين أنه صاحب «شخصية لا يختلف عليها اثنان».■

١٦,٨ مليون دينار أرباح بنك الكويت الدولي في عام ٢٠١٠م



الشيخ محمد جراح الصباح

أكد رئيس مجلس إدارة بنك الكويت الدولي الشيخ محمد جراح الصباح أن عام ٢٠١٠م كان بمنزلة بداية عهد جديد للبنك كمصرف إسلامي فاعل في الكويت؛ إذ تمكن من تعويض كامل خسائره في عام ٢٠٠٩م من جراء الأزمة المالية، وحقق أرباحاً صافية بلغت ١٦,٨ مليون دينار كويتي.

وأضاف الشيخ محمد في بيان صحفي: إن سياسات البنك التي راعت في صياغتها تدعيم قوة وسلامة مركز بنك الكويت الدولي مالياً، والتزامه الصارم بتعليمات بنك الكويت المركزي، وسعيه إلى التواصل الإيجابي مع عملائه بما يساعد على نمو ربحيته؛ تأكدت صحتها وسلامتها بمرور الوقت.

وقال: إنه «بعد أرباح متواضعة في الربع الأول من العام تزايد صافي ربح البنك لحوالي ٥ ملايين دينار حتى النصف الأول، ثم إلى ١٣,١ مليون دينار حتى نهاية الربع الثالث، ثم أخيراً اكتمل العام بربح صاف بلغ ١٦,٨ مليون دينار، وحقق البنك نمواً بلغ ٣٠٣٪ في صافي أرباحه».■

وأينما ذُكِرَ اسم الله في بلد
عددتُ أرجاءَهُ من لُبِّ أوطاني

«ساركوزي»: نريد إسلاماً فرنسياً.. وليس إسلاماً في فرنسا!

صرّح الرئيس الفرنسي «نيكولا ساركوزي» - في برنامج تلفزيوني - بأن «التعدّدية الثقافية فشلت في فرنسا وأوروبا كلها؛ بسبب المبالغة في الاهتمام بهوية الوافدين، وعدم الاهتمام بهوية الدولة المُضيفة»..

وحذا الرئيس الفرنسي بذلك حذو المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل»، ورئيس الوزراء البريطاني «ديفيد كاميرون» في ذلك الأمر.

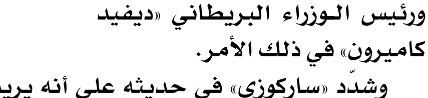


نيكولا ساركوزي

وشدّد «ساركوزي» في حديثه على أنه يريد مجتمعاً تتعايش فيه الثقافة جنباً إلى جنب، وقال: إن «على المرء حينما يأتي إلى فرنسا أن يتقبّل الانصهار في ثقافة واحدة هي الثقافة الوطنية، وإن لم يقبل ذلك فعليه ألا يأتي إلى بلادنا».

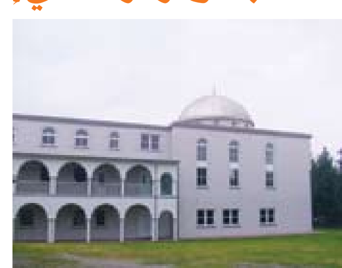
وأضاف: إنه «يجب على مواطنينا المسلمين أن يعيشوا ويمارسوا دينهم كأي مواطن آخر من أديان أخرى، بحيث يكون ذلك إسلاماً فرنسياً، وليس مجرد إسلام في فرنسا».

وأوضح قائلاً: «لا نريد في فرنسا أن يصلي الناس في الشوارع بصورة طاغية، لكن من الطبيعي أن يكون لديهم مساجد، ونعلم أن الصلاة لا تستفز أحداً، لكننا لا نريد نشر الدين بقوة».. وأشار إلى أن «ماريان لوبان» أثارت قبل شهرين سخطاً بتشبيهها صلاة المسلمين في الشوارع بالاحتلال النازي.■



ألمانيا: تشييد أحدث مسجد ومركز ثقافي إسلامي في أوروبا

تم الانتهاء من تشييد مسجد ومركز «DITIB» الثقافي الإسلامي في مدينة «كولن» الألمانية، الذي قام بإنشائه الاتحاد الإسلامي التركي للشؤون الدينية، ويُعَدُّ أكبر وأحدث مسجد ومركز إسلامي متكامل في أوروبا كلها.



ولم تتوانَ «بروكولن» ومؤسسة «بروني ري في» التابعة لها عن القيام بوقفة احتجاجية أثناء مراسم افتتاح المسجد، وهما مؤسستان يمينيتان متطرفتان تعاديان بناء المساجد، وقام نحو ٣٠ شخصاً بوقفة احتجاجية، وفي مواجهتهم ٥٠ شخصاً من مؤيِّدي المساجد، واتخذ رجال الشرطة احتياطات أمنية موسعة بسبب المتظاهرين.

وتحت شعارات «بروكولن»، ألقى رئيس المركز «جورغن روترز» كلمة قال فيها: «إذا كان المسلمون يقومون بإنشاء مسجد كبير وفخم في ألمانيا، فإن هذه إشارة على أنهم قد عثروا هنا على وطن جديد لهم، فمن يبني يبقى، ومن يشيد المباني هنا يعني هذا أن هذا الشخص قد وجد هنا بيتاً جديداً يعيش ويعمل فيه، بل ويقوم بأداء شعائره الدينية فيه أيضاً».

وأكد «روترز» أن «إنشاء مثل هذا المسجد ينفي إقصاء أو استبعاد المسلمين من المجتمع، ويُعَدُّ خطوة في مسيرة اندماج المسلمين في المجتمع الألماني».■

ماليزيا: شرطة الأخلاق تلقي القبض على محتفلين بيوم «فالانتاين»

ألقت شرطة الأخلاق الإسلامية في ماليزيا القبض على نحو ٨٠ شخصاً من المحتفلين بيوم «فالانتاين»، بعد مداهمة عدد من الفنادق في مدن «كوالالمبور» و«سيلانجور»، للحيلولة دون إقامة احتفالات غير مشروعة بذلك اليوم بين صفوف الجنسين من غير المتزوجين.

وجاءت هذه الملاحقات الأمنية في ظل قيام شرطة الأخلاق بمنع الأنشطة غير المشروعة، والاستناد على فتوى صادرة عام ٢٠٠٥م بشأن عدم مشروعية الاحتفال بيوم «فالانتاين»، وتأكيد نائب رئيس الوزراء «محي الدين ياسين» أن هذا الاحتفال غير مناسب للمسلمين.■

مسلمو «تتارستان» يطالبون الرئيس الروسي بالتدخّل لحمايتهم

اعتصم لدى النصب التذكاري «موسى جليل» عشرات المسلمين، وبسبب ظروف الطقس البارد كانوا يتبادلون حمل اللافتات، مطالبين بعدم تدخل الدولة في شؤون المسلمين.

وأكد «عبدالله جلال الدين» ممثل مجلس أئمة «تتارستان» المنظم لهذا التجمع إلى ازدياد حالات التعدّي على حقوق المسلمين في «تتارستان»، ومن ذلك حالات التفتيش التي تحدث في منازل الأئمة وعلماء الدين.

كما احتج المعتصمون ضد إمكانية إلغاء انتخابات الأئمة، وإرغامهم على التعرّض لجهاز كشف الكذب، وأرسلت الجالية المسلمة خطاباً إلى الرئيس الروسي «ديمتري ميدفيديف» يطالبونه بالتدخّل السريع لتسوية الموقف.■

إسبانيا: الاحتفاظ بمقر مسجد «أرتيكسو» القديم داراً للمناسبات

تتطلع الجالية الإسلامية بمدينة «أرتيكسو» الإسبانية إلى إجراء بعض الإصلاحات في مرافقها الجديدة لتتمكن من افتتاحها خلال الشهر القادم.

وأعلن نائب رئيس الجالية الإسلامية لمسجد «أبو بكر الصدّيق» أنه سيتم مد عقد إيجار المكان الذي يُقام عليه مسجدهم منذ عشر سنوات، وسيُستخدم هذا المكان داراً للمناسبات لإقامة الاحتفالات والاجتماعات للجالية الإسلامية.

وقد نُشر قرار الاحتفاظ بذلك المكان بعد يوم واحد فقط من الانتهاء من اتفاق الجالية الإسلامية على عملية البيع والشراء للمبنى الذي سيُقام عليه المسجد الجديد.■

خدمة خاصة من: وكالات - مراسلي المجتمع

أوزبكستان: قلة في أعداد الصحفيين الأجانب وغياب للصحافة العربية

كتبت:
فاطمة المنوفي

رغم أن الأعداد الفعلية للصحفيين الأجانب الموجودين في أوزبكستان لا تتعدى عشرة صحفيين، إلا أن وزارة الخارجية الأوزبكية أعدّت قائمة تضم عدد ٣٣ صحفياً أجنبياً معتمداً لديها، وقد كشفت القائمة عن غياب تام للصحافة العربية في أوزبكستان.



وتضم القائمة خمسة صحفيين لوسائل الإعلام الروسية، واثنين من المصورين لوكالة «رويترز» للأنباء (غير الموجودة أصلاً في أوزبكستان)، واثنين من موظفي الرصد الإعلامي لهيئة الإذاعة البريطانية (BBC)، ومراسلاً لوكالة الأنباء الفرنسية، ومراسلة لصحيفة «لو سوار» البلجيكية، وسبعة صحفيين صينيين، وخمسة صحفيين أتراك..

ولكل من كازاخستان وإيران وأذربيجان ثلاثة صحفيين معتمدين لدى الحكومة الأوزبكية، أما قرغيزستان فلديها صحفي واحد فقط.

ومن المعروف أن العمل الصحفي في أوزبكستان مهدد تماماً بأنواع لا حصر لها من الأخطار والضغوط والعوائق، التي أدت إلى غلق المكاتب وسحب المراسلين.. وبالنسبة للصحفيين الأوزبك، فإن تعرضهم للتشهير وإلصاق التهم المعدة مسبقاً بهم من قِبَل النظام الدكتاتوري؛ أدى إلى إقصائهم عن تأدية عملهم الصحفي.. وعلاوة على ذلك، فإن نوافذ عمل الصحفيين المستقلين تغلقها الحكومة تباعاً لصرفهم وإبعادهم عن مهنة الصحافة.■

تركيا: تأسيس كلية للشريعة في مدينة «أنطاليا» مجدّداً


محمد علي شاهين

منذ ١٩ عاماً، افتُتحت كلية الشريعة بجامعة «البحر الأبيض» بمدينة «أنطاليا» التركية، إلا أنه خلال فترة رئاسة رؤساء الجامعة السابقين كانت الكلية مغلقة لا تقدم أي أنشطة تعليمية، وأخيراً بدأ تأسيس كلية للشريعة في هذه الجامعة من جديد.

شارك «محمد علي شاهين» - رئيس البرلمان التركي - في مراسم وضع حجر الأساس للكلية، وقال من خلال الكلمة التي ألقاها: إنهم يتوقعون ظهور نوابغ جديدة من الجامعات التركية، معرباً عن إيمانه بوصول الجامعات إلى هذا الهدف في زمن قريب.

وعلى الرغم من تأسيس كلية الشريعة لجامعة «البحر الأبيض» عام ١٩٩٢م وتعاقب ثلاثة رؤساء جامعة عليها، إلا أنه لم يتم افتتاحها ولم يبدأ العمل بها، ولم يسعَ الرؤساء السابقون للجامعة إلى تفعيل الدراسة في الكلية.. والآن تمت مراسم تأسيسها من جديد في احتفال حضره رئيس الشؤون الدينية التركية «د. محمد جورماز»، ومع الكلية تم إرساء حجر الأساس لمسجد تابع لها.■

بلجيكا: أكاديميون يطالبون بالمساواة في معاملة الأديان المختلفة

طالب أربعة من الأساتذة الجامعيين في بلجيكا - في نصيحتهم إلى اللجنة البرلمانية - بضرورة معاملة أتباع الأديان والمعتقدات المختلفة بصورة مماثلة، ومنحهم أوضاعاً متساوية بالمجتمع البلجيكي.

وأشار الأساتذة الأكاديميون إلى ضرورة مساواة الشيوخ والقساوسة والأحبار من حيث الرواتب وسن التقاعد عند بلوغهم ٦٥ عاماً، بالإضافة إلى ضرورة إعادة توزيع المنح الحكومية الفيدرالية بين أتباع المعتقدات المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع الديني يحظى بالاعتراف الرسمي لدى الحكومة البلجيكية إذا ما بلغ أتباعه ٢٥ ألف نسمة، وأنه يوجد العديد من الطوائف النصرانية بالمجتمع البلجيكي، إضافة إلى المسلمين واليهود.■

هامش الأخبار



- ذكر موقع «لايف ساينس» أن الدراسة التي أجراها معهد «جالوب» الأمريكي، وشملت ألف شخص في ١٢٨ بلداً، أظهرت أن ثمّة ارتباطاً بين الوطنية والسعادة، وخصوصاً الدول الفقيرة وتلك التي تنخفض فيها دخول الناس، وأن الشعور الإيجابي بشأن الوطن مرتبط بنظرة زاهرة إلى الحياة الشخصية.

- وافقت الحكومة الأرجنتينية على تشريعات تسمح بارتداء الحجاب، وذلك بناءً على القانون الجديد للحكومة في «بيونس آيرس»؛ حيث سيكون للمسلمين حرية أكبر في ارتداء الزي الإسلامي، ورحّب المسلمون بهذا القرار الصائب من الحكومة، معتبرين ذلك أحد انتصاراتهم في هذا البلد.

- قامت مؤسسة التطوير الاقتصادي والتعليمي الإسلامية غير الحكومية بولاية «أندرا برادايش»؛ الواقعة على الساحل الجنوب الشرقي للهند، بتكريم تسعين طالباً متفوقاً، وذلك بتقديم جوائز بقيمة عشرة آلاف روبية، ضمن فعاليات الاحتفال بيوم الجمهورية.

- كشفت دراسة حديثة صادرة عن جامعتيْ «جنوب فلوريدا» و«نيويورك»، أن «معدّل جرائم الكراهية ضد المسلمين والعرب قد شهد ارتفاعاً كبيراً في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وفي الوقت ذاته انخفضت معدلات جرائم الكراهية تجاه السُّود والآسيويين واللاتينيين».

- تقدّم «مايك فير» عضو مجلس الشيوخ بمذكرة قانونية تطالب بعدم أخذ محاكم ولاية «كولومبيا» بأي اعتبارات قانونية أو تشريعية مخالفة للدستور الأمريكي، في إشارة إلى الأحكام الشرعية الإسلامية.. وطبقاً لمؤتمر التشريع الوطني، فإن ١٣ ولاية أمريكية ستقوم بإجراءات مماثلة خلال العام الجاري، وهو ما أثار انتقادات الجمعيات الإسلامية التي أكدت أن ذلك سيؤثر على الأخذ بالأحكام الإسلامية في مسائل مثل الزواج والمواريث وأحكام الجنائز.■



في مجرى الأحداث

بقلم: شعبان عبد الرحمن shaban1212@Gmail.com

هولاكو ليبيا.. جنون الفكر وهوس الزعامة..!



هذه هي النهاية الطبيعية لـ«هولاكو» ليبيا، وذلك هو قدر الشعب الليبي الكارثي معه.. فماذا ينتظر من مجرم غرس نفسه كالسكين في سويداء قلب الشعب الليبي، واستمر منغرساً طوال اثنين وأربعين عاماً مخلفاً نزيفاً دائماً وآلاماً متواصلة ظل يتلذذ بها، ومن يشعر باستيقاظ ضميره ممن حوله كان مصيره التصفية حتى ولو كان شريكه في ثورته الكارثية.

وعندما فاض الكيل بالشعب الليبي الصابر لم يكن بد من خلع ذلك الخنجر المسموم، لكن «القذافي» أبى إلا أن يقضي على ضحيته، وأبى أن ينخلع إلا وقد خلف نهراً من الدماء في شوارع ليبيا، يتفوق على «نهره العظيم» الذي ضحك به على العالم، وأبى إلا أن يترك أرض ليبيا التي احتضنته وصبرت على بلائه أكثر من أربعين عاماً، أبى ألا يتركها إلا وهي أرض محروقة ينعق فيها البوم.. قايض الشعب الليبي عن طريق ولده الذي أطل في ساعة متأخرة من يوم الأحد الثاني والعشرين من فبراير ٢٠١١م ليخير الشعب بين بقاء «القذافي» وبقية العصابة الدموية، أو إشعال حرب أهلية، رد البلاد إلى ما قبل التاريخ بعد ضياع النفط وقدوم الاستعمار وحدوث كل «بلاوي» الدنيا، لكن الشعب رفض وأصر على حريته، فجرد حرباً وحشية مساء الإثنين ٢٣ / ٢ / ٢٠١١م ارتكبت فيها الطائرات الحربية والمرتزقة واحدة من أبشع مجازر التاريخ، وسط صمت العالم كله - عربياً وغربياً - ولم يتحرك العالم إلا بعد الاستغاثات المتكررة عبر «الجزيرة»، ونداءات الشيخ الجليل «القرضاوي»، وظهور صور الجثث المتفحمة على الشاشات.. تحرك الجميع بكلمات الإدانة التي ضنوا بها طوال أيام مضت، وهي الكلمات الجوفاء التي تعودنا عليها طوال ثورتي تونس ومصر، كلمات كلها تصب في الدعوة إلى «ضبط النفس».. ولو أن لدى العالم والأمم المتحدة والمنظمات العربية والدولية بقية من ضمير لساقت هذا الرجل إلى قفص محكمة جرائم الحرب لمحاكمته محاكمة عادلة.

لقد مثّل «القذافي» منذ تربعه على سدة الحكم في ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩م واحدة من أغرب الحالات الشاذة التي شهدها التاريخ العربي.. غريب في زيّه وتحركاته وكلماته ومعتقداته وتصوراته؛ لأنه حمل عقلاً نادراً في الجنون.. يغيّر في اليوم الواحد أكثر من زيّ بين ليبي وأفريقي وأفرنجي وعسكري، وفي كل بدا في صورة هزلية.. ويحمل خيمته أينما حل ورحل حتى في شارع «الشانزليزيه» نصبها وأحاط نفسه بشلة من الحارسات جرت خلفه ومن أمامه وعلى جانبيه.

شاذ في طريقة سطوته على بلاده؛ حيث أقام اللانظام، وقد أتاح له ذلك الاستحواذ على خزينة الدولة ومدخراتها، وترك الشعب يحكم نفسه بنفسه في الهواء الطلق.. وانطلق هو ليسبح مع أحلامه في الفضاء حلم تحقيق الوحدة العربية والوحدة الأفريقية، وكذلك الوحدة المغاربية التي كانت كلها أحلاماً مضحكة ومهدرة لثروات الشعب الليبي.. ولا يستطيع أحد أن ينبس ببنت شفة، فقد حوّل البلاد «باستيل كبيراً» غيّب فيه معظم كفاءات وطاقات وعباقرة الشعب الليبي خلف القضبان، والبقية الباقية هاجرت خارج البلاد مثلما فعل صنو روحه «بن علي».

وقد صنع «القذافي» حالة من العداء المجنون والغريب ضد الإسلام والقرآن والسنة النبوية، وفاق جميع الطغاة في ذلك.. فلم يخجل من نفسه وهو يدعو لتحريف القرآن الكريم داعياً إلى رفع كلمة «قل» من المصحف على اعتبار أنها كانت خطاباً من الله للنبي ﷺ.. ولم يخجل من نفسه وهو يسخر من الحجاب الإسلامي، معتبراً هذا الزي من الشيطان، ولم يخجل من نفسه وهو يعلن عدم اعترافه



بالسنة النبوية المطهرة، ولم يخجل من نفسه وهو يسخر من ركن الحج إلى بيت الله الحرام، لقد فاق هذا الرجل غلاة المنحرفين في التاريخ، فقد ذكرت الصحافة في ٢٠٠٠/١٠/١٧م عن العقيد «القذافي» خلال زيارته للأردن: إن العقيد «معمر القذافي» أطلق ما زعم بأنه دعوة من أجل «ثورة ثقافية» تحرر المرأة من ثقل القيود التي يفرضها المجتمع عليها، ومن بينها اللباس، مشيراً إلى أن «الملابس هي من صنع الشيطان».

واعتبر «القذافي» أن «الملابس هي من صنع الشيطان»، مذكراً بأن الشيطان هو الذي اقترح على آدم وحواء تغطية عورتيهما بلباس من ورق الشجر، بعد أن تسبب في إخراجهما من الجنة، مشدداً على أنه «لا يجب إذن الوقوف كثيراً عند الملابس ووضع القيود عليها انطلاقاً من موروثات عفا عليها الزمن».

وقبل أيام من ذلك الحدث خرج «القذافي» ببدعة شيطانية جديدة دعا فيها حجاج بيت الله الحرام إلى الذهاب إلى القدس «بدل أن يدوخوا في الطواف حول الكعبة».. القدس التي لم ينفق عليها سنتاً أو درهماً واحداً بينما أهدر أكثر من ٣٠٠ مليار دولار على دعم ثوار أيرلندا، وعلى تفجير الطائرات المدنية، وعلى تدبير محاولات اغتيال لمن يختلف معهم، وعلى دعم «قرنق» في جنوب السودان والمنظمات المتمردة في دارفور؛ سعياً لتفتيت السودان؛ حتى يصبح جاراً ضعيفاً له، ونسي أنه يخدّم على مشاريع الغرب الاستعماري والصهاينة، وأدعو الحكومة السودانية لفتح هذا الملف، حتى يعرف الشعب العربي والعالم ماذا فعل «القذافي» في دارفور وجنوب السودان.

هكذا عاش «القذافي» أربعين عاماً لا يعرف إلا العنتريات والتمثيليات الهزلية التي أورثت البلاد الضياع، كل الضياع.. ولعله يكون عبرة لمن يعتبر إن كان هناك من يعتبر!■





ظهر الدكتاتور «معمّر القذّافي» يوم الثلاثاء الماضي (٢٢ فبراير) على شاشة التلفزيون الليبي الحكومي لفترة قصيرة، معبِّراً عن غطرسته في مواجهة الاحتجاجات المناهضة لحكمه المستمر منذ نحو ٤٢ عاماً، ونافياً فراره من البلاد.. وكان «القذّافي» - في أول ظهور تلفزيوني منذ تفجّر الاحتجاجات الرامية إلى الإطاحة به - يمسك بمظلة وسط المطر المتساقط، واستمر تصريحه ٢٢ ثانية.

«مجنون الزعامة» يُغرق ليبيا في حمّامات الدم!

دكتاتورية «القذافي» تتصدّع

أسامة عبدالسلام

وقال «القذّافي» وهو ينحني من عربة يستقلها: «أريد أن أبيِّن لهم أني في طرابلس، ولستُ في فنزويلا، ولا تصدّقوا إذاعات «الكلاب» الضالة»، نافياً تقارير سابقة عن فراره إلى «كاراكاس»؛ حيث تربطه علاقات صداقة مع الرئيس الفنزويلي «هوجو تشافيز».. وأضاف: «كنتُ أريد أن أوجِّه كلمة للشباب بالساحة الخضراء الليلة، وأسهر معهم، لكنها أمطرت، الحمد لله فيها الخير»!!

وبينما كان ملايين المشاهدين في أنحاء العالم يتابعون تخاريف «الأخ الزعيم القائد» بوجهه «الكئيب» عبر الفضائيات المختلفة، كان الزلزال المتنقل الضارب في دول المغرب العربي قد حشد معظم قوته الانقلابية في الربوع الليبية، مستهدفاً النظام الليبي المتربّع على مقدرات البلاد والعباد منذ أكثر من أربعة عقود.

ونزل العقيد «القذّافي» إلى ساحات المواجهة مع الشعب الثائر بمختلف أنواع الأسلحة من الرشاشات والدبابات، وحتى الطائرات الحربية، الأمر الذي حوّل ساحات «طرابلس» و«بنغازي» وغيرهما إلى ميدان حرب حقيقية، وصفته وزيرة الخارجية الأمريكية «هيلاري كلينتون» بأنه «حمام دم غير مقبول».

وذكر «التحالف الدولي لملاحقة مجرمي الحرب» أن «عدد الضحايا في ليبيا (حتى صباح يوم الثلاثاء الماضي) بلغ ٥١٩ قتيلاً، و٣٩٨٠ جريحاً، إضافة إلى نحو ١٥٠٠ مفقود»، وأن «٩٠٪ من القتلى أصيبوا مباشرة في الرأس والرقبة والصدر».

مصير محسوم

وفيما يبدو أن مصير «القذّافي» قد بات

محسوماً؛ حيث سارعت دول أوروبية إلى إجلاء رعاياها، بعدما توقفت كل الاتصالات السلكية واللاسلكية، وباتت ليبيا معزولة عن العالم الخارجي، وسط أنباء عن سقوط المئات من القتلى وآلاف الجرحى.

وقد ظهرت مؤشرات التفكّك في الجيش والقوى الأمنية الليبية؛ إذ التحق العديد من العسكريين بالجماهير الثائرة، فيما فرّ طيّاران بطائرتيهما الميراج إلى «مالطة»، وقدم سفراء ليبيون في الخارج استقالاتهم احتجاجاً على المجازر المرتكَبة ضد المتظاهرين المدنيين وقصفهم بالطائرات الحربية، التي زعم «سيف القذافي» أنها تقصف مخازن ذخيرة وأسلحة لمنع انتقالها إلى المحتجين.

من هنا يُطرح السؤال: ليبيا إلى أين؟ بل المغرب العربي برمته إلى أين؟ بعد تونس ومصر وليبيا، والتحرّكات التي بدأت تشهدها دول أخرى، وما الصورة التي سيكون عليها هذا المغرب، خصوصاً أن الزلزال بدأ يضرب دولاً أخرى، فيما تبدو بعض دول المشرق في منأى عن هذا الزلزال، وإن تكن لن تبقى في معزل عن تداعياته، لاسيما على صعيد مسألة الصراع العربي الصهيوني، وأمن النفط الذي يُقلق أوروبا والولايات المتحدة، بعد الارتفاع الهائل في أسعار النفط الذي تشهده الأسواق منذ يوم الإثنين الماضي.

تهديدات سفيهة

ومن المؤكد أن الاحتجاجات في ليبيا قد جرى استلهامها من نجاح الثورة في تونس، ثم في مصر، حيث أنهت احتجاجات ١٨ يوماً في مصر حكم «حسني مبارك» الذي استمر ثلاثين عاماً، وهو ما منح الليبيين الشجاعة، ولذلك خرج الناس إلى الشوارع في شرق البلاد أولاً (بنغازي والبيضاء)؛ كي يعبروا عن رأيهم في نظام القذافي صاحب لقب «الحاكم الأكثر استمراراً في العالم».. وقد سيطر المتظاهرون على مدينتَيّ «بنغازي» و«البيضاء»، وانتقلت الاحتجاجات إلى العاصمة «طرابلس».

ويبدو أن الشعار الذي يعمل بوحيه العقيد «القذّافي» لمواجهة الانتفاضة المتنامية في ليبيا، هو «اقتل أو ستُقتل»، وهو ينفذ تهديداته السفيهة فعلاً ضد الاحتجاجات العنيفة التي انتشرت بسرعة، من الشرق حتى العاصمة طرابلس غرباً، ويستمر في

حتى صباح الثلاثاء الماضي:

■ ٥١٩ شهيداً و٣٩٨٠ جريحاً ونحو ١٥٠٠ مفقود

■ ٩٠٪ من الشهداء أُصيبوا مباشرة في الرأس والرقبة والصدر!

إغراق البلاد بالدم، حتى «الحرب الأهلية»، و«آخر طلقة»، و«آخر رجل»، وفق ما هدّد به ابنه «سيف» مساء الأحد الماضي عبْر التلفزيون.

دور الجيش

ويُعَدُّ وضع الجيش الفارق المفصلي بين مصر وتونس من جهة، وليبيا من جهة أخرى.. فالرئيسان السابقان «حسني مبارك» و«بن علي» تمت الإطاحة بهما؛ لأن قادة المؤسسة العسكرية في كلا البلدَيْن رفضوا الوقوف ضد الشعب، وإطلاق النار على المتظاهرين.. وقد حظي الجيشان التونسي والمصري باستقلالية كبيرة، وباحترام المواطنين؛ باعتبارهما مستقلين إلى حدٍّ ما عن النظام الحاكم.

أما في ليبيا، فالوضع مختلف قليلاً، فالجيش عبارة عن «ميليشيا خاصة»، وأولاد «القذّافي» يحتلون مناصب رفيعة فيه، فـ«المعتصم» مستشار الأمن القومي، و«خميس» قائد الوحدات الخاصة، الذي قاد التدخل الدموي ضد المتظاهرين في «بنغازي»، وقام باستئجار مرتزقة أفارقة للقيام بجرائم الإبادة القذرة في حق أبناء الشعب.

والحقيقة: إنهم يعرفون أنه في حال سقوط النظام، فإن ذلك سيعني نهايتهم.. ولذلك، فإن كلمات «سيف القذّافي» بأنه سيتم القتال حتى «الرجل الأخير»، و«الطلقة الأخيرة» لم تكن تمثل - حسب المحللين - مجرّد تهديدات فارغة!

«القائد» الذي بدا قبل أسابيع أشدَّ المدافعين عن نظام «بن علي».. يبدو أنه الآن يواجه المصير نفسه!

طبيعة النظام

لقد استولى «القذّافي» على الحكم في سبتمبر عام ١٩٦٩م، بعد انقلاب عسكري قاده ضد نظام الملك «إدريس السنوسي» الذي كان في ذلك الوقت يُمضي إجازة في تركيا، وبعد أربعة أعوام أعلن «القذّافي» ما سُمِّي بـ«الثورة الثقافية والشعبية» التي وضع أسسها النظرية فيما يُطلق عليه «الكتاب الأخضر».

وقد وصف نظام الحكم - الذي اعتبره خياراً ثالثاً بين الرأسمالية والشيوعية - بـ«الجماهيرية»، أي حكم الشعب، وتتم ممارسة الحكم عبر ما يُسمَّى بـ«اللجان الشعبية» التي يترأسها منذ عام ٢٠٠٩م نجله «سيف الإسلام».

تركزت الاحتجاجات، حتى مساء الأحد الماضي، في «بنغازي» و«البيضاء» (شرق البلاد)، وهذه المنطقة كانت على الدوام تتبنّى تجاه «القذّافي» موقفاً أقلُّ ما يُوصف به أنه «متحفِّظ».. وطالما أن الاحتجاجات كانت تتركّز في بعض المناطق فقط، فإن المحللين كانوا يقولون: إن «حكم القذّافي غير مهدَّد».

وقد انطلق المحللون في تقيماتهم من أن الأرباح الكبيرة من النفط منحت «القذّافي» إمكانية شراء المهادنة الاجتماعية، وإسكات القلاقل، غير أنه قرّر إغراق الاحتجاجات في الشرق بالدم، الأمر الذي جعلها تنتقل إلى العاصمة «طرابلس».. ولذلك، فإن «القذّافي» كان يكافح عملياً من أجل البقاء.

لقد تردّدت القوى الكبرى طويلاً في إدانة العنف الذي يمارسه «القذّافي» بحق المتظاهرين، ثم دعت «واشنطن» و«لندن» إلى «إنهاء العنف»، لكنها تبقى دعوة غير حازمة، وهو ما يفسره كثير من الخبراء بأن «احتياطي ليبيا من النفط كبير، إلى درجة أن شركات النفط العملاقة لا تستطيع أن تتركها».

إن «القذّافي» الذي بدا، قبل أسابيع، أشدَّ المدافعين عن نظام «بن علي»، يبدو أنه يواجه الآن المصير نفسه.. وإن كان أكثر دموية وعنفاً!!■

«ثورة» الشعب ضد «همجية» النظام..

ليبيا..
هل ينتصر الدم على الرصاص؟!

ها هي ذي طلائع الشعب الليبي الثائرة وقواه المنتصرة على نظام «معمّر القذّافي»، تُبدي مقاومة باسلة وشجاعة نادرة في مواجهة الرصاص الحي، في «بنغازي»، و«البيضاء»، و«درنة»، و«طرابلس»، وغيرها من المدن الليبية الثائرة، والتي أعادت سيرة المجاهد البطل الشيخ «عمر المختار» يرحمه الله.



وبهذه الثورة الشعبية المجيدة، تدخل ليبيا نادي الأوائل، بعد تونس ومصر، في استعادة مجد الأمة الغابر، والتخلص من العار التاريخي الذي سربلتنا به أنظمة الجور الداخلي، والخور الخارجي، والعمالة، والسرقة، والنهب، والخيانة، بكل ما تحمل هذه الكلمات من معاني.

وقد أثبت الشعب الليبي شجاعته وأصالته، وتفوّقه على الكثير من الشعوب التي تسمع لها جعجعة ولا ترى لها طحنا، وتحدّى الشعب الليبي التهديدات الصادرة من نجل الدكتاتور باستخدام المزيد من العنف، وقابلت وعوده ووعيده بكل استخفاف، وزاد من حماستها لإسقاط النظام العجوز.

وقد بدا نجل الدكتاتور «سيف الإسلام»، الذي يُطلق عليه الليبيون «سفيه الأحلام»، دموياً كأبيه، عندما توعّد بجعل ما يقول: إنهم ٨٢ شهيداً، واصفاً إياهم بالقتلى، آلافاً.. بينما زاد عدد القتلى خلال خمسة أيام من الثورة على ٥٠٠ شهيد، إضافة إلى آلاف الجرحى والمفقودين، وجميع القتلى تمت تصفيتهم بشكل متعمد.

وعندما هدّد نجل القذافي بالحرب الأهلية، فإنه أظهر للشعب بذلك عمالته للغرب شخصياً، حيث أشار إلى أن ليبيا ستتعرض للاحتلال من قِبَل أمريكا وأوروبا وحلف شمال الأطلسي؛ لأنهم لن يقبلوا بـ«دولة إسلامية»!

أثبتت الأحداث أن الطاغية وأبناءه وزبانيته لا يتمتعون بأي حس وطني.. بعد أن أطلق يد المرتزقة تقتل وتنهب وتغتصب!

قمع مفرط

وقد نفذ «سيف» وعيده قبل أن يتحدّث بلغة الغطرسة المعروفة في أهله، فالمناطق الثائرة حُرمت من الغذاء والوقود والأدوية، وسط حصار شديد على وسائل الإعلام الممنوعة من تغطية المجازر التي يرتكبها «القذافي» ضد الشعب الليبي الأبي.

وزاد الطينَ بلة خطابُ نجله الذي ظهر متغطرساً وموهماً بأن مقاليد الأمور لا تزال بيد والده، لكنه لم يستطع إخفاء توتره رغم محاولته.. وقد رد الثوار على خطابه بالخروج للشارع مرددين: «ليبيا واحدة، ليبيا حرة».

كما أثبتت الأحداث أن الدكتاتور وأبناءه وزبانيته لا يتمتعون بأي حس وطني، لاسيما بعد أن أطلق يد المرتزقة تقتل وتنهب وتغتصب. وقد ساعدت رعونته ودمويته في تحقيق مكاسب للثورة في ليبيا؛ من خلال انضمام العديد من القبائل - مثل: الطوارق، وترهونة، وورفلة أكبر القبائل الليبية - إلى الثوار، إلى جانب قوات الجيش والأمن التي انضمت بدورها إلى صفوفهم، علماً بأن معظم قوات الجيش من هذه القبائل.

كما تقدم بعض الدبلوماسيين باستقالتهم، مثل مندوب ليبيا لدى جامعة الدول العربية،

وسفير ليبيا في الهند، ودبلوماسي ليبي في الصين، ورئيس الغرف التجارية في ليبيا، وغيرهم ممن تبرؤوا مبكراً من نظام الدكتاتور، وهو ما مكن الثوار من السيطرة على العديد من المدن، وعلى مراكز الجيش والشرطة ومعاقل اللجان «القذافية»، وهم الآن على وشك إعلان النصر النهائي على نظام موغل في دمويته.. رغم التضحيات الجسام التي فاقت تضحيات الشعبين التونسي والمصري معاً خلال ثلاثة أيام فقط؛ بسبب استخدام الدكتاتور لسلاح القنّاصة وللطائرات والرصاص من عيار ١٤,٥ ملليمتر، وهو رصاص «الدشاكا» و«الزوكوياك» الروسي الصنع المضاد للطائرات.

وكان الغرب قد التزم الصمت لعدة أيام على المذابح المستمرة في ليبيا، بعد تهديد الدكتاتور بوقف التعاون معه بخصوص الهجرة، بيد أن الأمر كان أكبر من ذلك على ما يبدو.. فبعد خمسة أيام من انطلاق الثورة الليبية، أدانت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة القمع الذي يمارسه النظام الليبي، ولم ترقَ تلك الإدانات لحجم الدموية التي مارسها القذافي وأبناؤه ونظامه ضد الشعب.

ترنّح سلفاً

لقد حوّل «القذافي» ليبيا إلى سجن كبير، دفع الكثير من الليبيين للعيش في الخارج، من بينهم عقول وكفاءات في مختلف التخصصات، ولم ترواده فكرة الاستفادة منهم وتوفير جو من الحرية يطيقون العيش فيه.. وبسبب أنانيته ونرجسيته فضّل أموال النفط على تنمية ليبيا، ولو كانت النتيجة بقاء الشعب الليبي تحت نير الظلم والاستبداد والفساد والتخلف على جميع الأصعدة، بينما أموال الشعب تُصرف على نزوات «القذافي» وبحثه عن دورٍ ما، لا ينفع البلاد ولا العباد وإنما غروره وأوهامه!

القرضاوي: أُفتي بقتل «القذافي».. فأي ضابط أو جندي أو أي شخص يتمكّن من إطلاق الرصاص عليه فليفعل

إن الأمة مدعوة اليوم، قبل أي وقت مضى، لمساندة شعوبها للتحرر وكسر الجدران الوهمية التي بنتها الأنظمة المستبدة لفصل الأمة عن بعضها بعضاً.. وقد كان نجل الدكتاتور واضحاً في التعبير عن هذه السياسة عندما اتهم التونسيين والمصريين بأنهم من يقومون بالعنف ويشعلون الحرائق، في حين أن الثوار الليبيين قد لمسوا عن قرب تلك السياسة الخبيثة، وهي تعمّد الدكتاتور استخدام بقايا بلطجية «بن علي» و«حسني مبارك» لقمع ثورة ليبيا بعد أن فروا من تونس ومصر!

ولا شك، فإن دكتاتور ليبيا ترنّح، ورقص رقصة الديك المذبوح على وقع الثورتين التونسية والمصرية، عندما ظهر كئيباً بائساً على شاشات التلفزيون، مناصراً لدكتاتور تونس المخلوع «بن علي»، قبل أن يستسلم للشعب.

ولم تنفع «القذافي» مناوراتُه، ولا توظيفُ ابنه لمخاطبة الجماهير الغاضبة بدلا مٌنه، ولا لقاءاته بزعماء القبائل، ولا القمع المفرط في مواجهة الثوار، فبقدر شدة القمع يُظهر المستبد مستوى جبنه!

إن وعود ثورة ليبيا أكثر نضجاً وأكثر نصاعة من ثورة مصر، وثورة مصر أكثر وعوداً من ثورة تونس، وإن شاء الله تكون الثورة الرابعة أكثر وعوداً من ثورة ليبيا؛ إذ إن الحس الإسلامي



أكثر حضوراً من نظيره التونسي حيث للعلمانية قلاع.. في حين أن شعب ليبيا محب كله أو جله للإسلام، ولا يتوقع أن يظهر علمانيون يدعون إلى دولة علمانية في ليبيا، والقادم أفضل.

وما يدعونا إلى التفاؤل؛ هو أن علماء مثل الشيخ «د. الصادق الغرياني»، و«د. علي الصلابي»، والشيخ «سالم الشيخي» وآخرين أعلنوا وقوفهم إلى جانب شعبهم في ليبيا، وحرّموا قتل النفس التي حرمها الله على عناصر الجيش والشرطة في ليبيا، وتوجّهوا بنداءات إلى القوات المسلحة في ليبيا بهذا الخصوص.

«سيف» الجاهلية

وقد أفتى رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الشيخ «د. يوسف القرضاوي» بقتل الطاغية «القذافي»؛ بسبب قتله أبناء شعبه عن طريق قصفهم بالطائرات واستخدام المرتزقة الأجانب لقتلهم.. وطالب قادة وضباط وجنود الجيش الليبي بـ«ألا يسمعوا ولا يطيعوا أوامره بقتل أبناء شعبهم، لأن السمع والطاعة هنا حرام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والظلم والبغي على العباد».

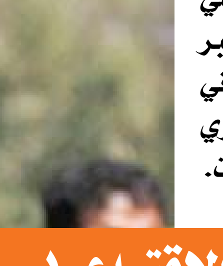
وقال القرضاوي: «أُصدر الآن فتوى بقتل «القذافي»، فأي ضابط أو جندي أو أي شخص يتمكن من أن يُطلق عليه رصاصة فليفعل؛ ليريح الليبيين والأمة من شر هذا الرجل المجنون وظلمه».

وأضاف: «أن يقتل الراعي الرعية بهذه الوسائل الجهنمية فهذا من أعظم الجرائم عند الله عز وجل، وأقول للضباط حول «القذافي» من الذين يأتمرون بأمره الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾ (النساء)، وكذلك حديث الرسول ﷺ: لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مسلم».

ووصف «د. القرضاوي» نجل الدكتاتور الليبي بأنه «سيف من سيوف الجاهلية، وقد أراد بخطابه تسليط الشعب الليبي بعضه على بعض».■

عبدالباقي خليفة





واصل آلاف اليمنيين اعتصاماً أمام «جامعة صنعاء» بدؤوه يوم الإثنين الماضي للمطالبة برحيل الرئيس «علي عبدالله صالح»، الذي أكّد أنه لن يرحل إلا عبر صناديق الاقتراع.. وقام المعتصمون بنصب خيام لتأكيد إصرارهم على الاستمرار في الاعتصام، كما شكّلوا لجاناً لتنظيم الاعتصام، وأخرى لمنع أي تدخّل من مناصري الحزب الحاكم الذين اعتادوا مهاجمة المتظاهرين بشكل يومي بالحجارة والهراوات.

الرئيس: لن أرحل إلا عبْر «صناديق الاقتراع»!

«إسقاط النظام».. يوحّد شعارات المتظاهرين في شمال اليمن وجنوبه

صنعاء: المجتمع

وبات المعتصمون في ساحة الجامعة، بعد أن أحكموا قبضتهم عليها؛ حيث شكلوا فرقاً أمنية تتولى عملية تفتيش القادمين إلى الساحة خوفاً من تسلل مسلحين، وسط توافد كبير لقادة المعارضة، فيما انضم إلى المتظاهرين العشرات من رجال القبائل بهدف تقديم الحماية لهم.

وقد حاول عشرات من مؤيِّدي الرئيس اعتراض آلاف المتظاهرين أمام الجامعة، وأطلقوا أعيرة نارية، وقال شهود عيان: إن أنصار النظام لم ينجحوا حتى الآن في السيطرة على الساحة الرئيسة للجامعة التي ينطلق الطلاب منها للتظاهر، بعد أن قرروا تحويلها إلى ساحة اعتصام دائم، وأسموها «ساحة التغيير».

احتجاجات عامة

وقد تواصلت الاحتجاجات في معظم مناطق البلاد؛ حيث قُتل شخصان وجُرح آخرون في مواجهات بين قوات الأمن والمحتجين المطالبين بالتغيير في منطقتَيّ «خورمكسر» و«التواهي» في «عدن» (كبرى مدن الجنوب)؛ ليرتفع عدد قتلى المواجهات الأخيرة في «عدن» وحدها إلى ١١ قتيلاً، بالإضافة إلى عشرات الجرحى.. وقالت مصادر محلية بالمدينة: إن المحتجين بدؤوا تنظيم اعتصامات في عدد من المناطق؛ أبرزها: «التواهي» و«خورمكسر» و«المنصورة» و«الشيخ عثمان».

ودارت مواجهات عنيفة في بلدة «خور مكسر»؛ حيث أطلقت دورية أمنية النار لتفريق متظاهرين هتفوا بإسقاط النظام، ورشقوا رجال الأمن بالحجارة، كما قطعوا الطريق العام وأضرموا النار في عدد من الإطارات.. في حين أعلنت مصادر طبية عن وفاة شاب وإصابة آخرين، بعدما حاولت قوات الأمن تفريق مظاهرة شبابية في بلدة «الشيخ عثمان» كانت تنادي بسقوط النظام.

وفي محافظة «لحج» (جنوباً)، سيّر المئات من المشاركين تظاهرة مناوئة لحكم الرئيس «صالح» في مدينة «الحوطة» قبل أن ينظموا اعتصاماً مفتوحاً وسط محطة الحافلات، بعد أن قاموا بإخراج الحافلات منها واحتلال مساحتها.. وكان المتظاهرون قد جابوا الشارع الرئيس للمدينة، ورددوا هتافات مناوئة للحكومة، وراقبت قوات الأمن المسيرة دون أن تتدخل لقمعها.

وفي منظر مشابه لما شهدته القاهرة في شهر يناير الماضي، وصل إلى مدينة «عدن» العشرات من «البلطجية» على ظهور جِمال وخيول قادمين من محافظة «الحديدة»؛ للبدء بمصادمات مع المتظاهرين المطالبين برحيل الرئيس، كما حرّك الجيش العشرات من الدبابات من معسكر «العند» بمحافظة «لحج» باتجاه «عدن».

المعارضة: لا حوار مع سلطة تحشد البلطجية لاحتلال مداخل المدن وإرهاب الأهالي وتعكير السكينة العامة

وفي مدينة «إب» الجنوبية، نصب نحو ألف محتج مخيماً في ميدان التحرير، ملوحين بلافتات كُتب عليها: «ارحل»، و«الشعب يريد إسقاط النظام».. وفي مدينة «تعز» (جنوباً أيضاً) واصل آلاف المتظاهرين اعتصاماً لليوم العاشر على التوالي.

وفي تطور آخر، قال «فادي» الابن



الأصغر لـ«حسين باعوم» زعيم الحراك الجنوبي المطالِب بالانفصال عن شمال البلاد: إن «مجموعة عسكرية مسلحة» ألقت القبض على والده في مستشفى كان يُعالج فيه، ونقلته إلى جهة غير معلومة.

دعوة إلى الحوار

وكان الرئيس اليمني جدّد دعوته لأحزاب «اللقاء المشترك» (المعارضة) للحوار، وقال: «دعوناهم إلى الحوار والجلوس إلى طاولة المفاوضات، ونحن على استعداد لتلبية طلباتهم إذا كانت مشروعة، فنحن على استعداد للتجاوب».

وعبّر «صالح» – في خطاب جماهيري بالعاصمة صنعاء يوم الإثنين الماضي – عن أسفه للأحداث التي وقعت في «عدن»، متهماً «عناصر مدسوسة خارجة عن النظام والقانون تسعى لتخريب وشق الصف الوطني في اليمن عبر المظاهرات غير المرخص لها».

وأبدى «صالح» استعداده للحوار مع المعارضة باعتباره رئيساً لليمن وليس كرئيس لحزب «المؤتمر الشعبي العام» الحاكم، قائلاً: إن «الحوار هو أفضل وسيلة، وليس التخريب ولا قطع الطرقات ولا قتل النفس المحرمة ولا العبث بالمال العام والحق الخاص لأبناء الشعب اليمني».

صالح: أدعو إلى الحوار والجلوس إلى طاولة المفاوضات.. ونحن على استعداد لتلبية الطلبات إذا كانت مشروعة

ووصف الرئيس اليمني ما يجري في بلاده حالياً بأنه «امتداد لحمّى وأنفلونزا بدأت في تونس ومصر»، وأضاف: إن «هذا التقليد ليس من ثقافة المجتمع اليمني»، داعياً المعارضة إلى «الحوار عبر الفضائيات؛ ليكون الحكم هو الشعب وليس السفارات الأجنبية»، على حد قوله.

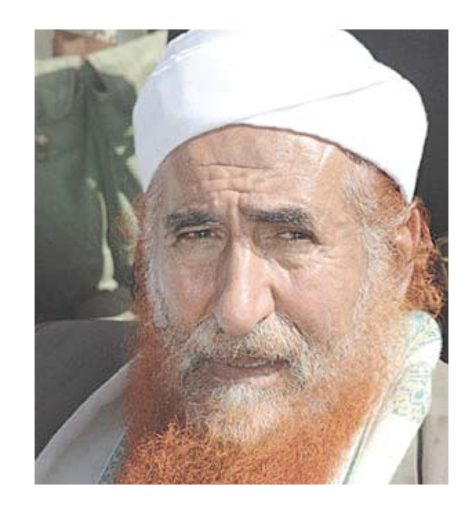
ورفض الرئيس اليمني تخليه عن السلطة ورحيله على طريقة الرئيسيْن المصري «حسني مبارك» والتونسي «بن علي»، قائلاً: إن الطريقة الوحيدة لرحيله هي خسارته عن طريق صناديق الاقتراع، وهو ما فاجأ المراقبين، بخاصة وأن «صالح» كان قد تعهّد بأنه لن يترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة المقرر إجراؤها في سبتمبر عام ٢٠١٣م.

وقال: «يطالبونني بأن أرحل، وإذا أرادوني أن أرحل فلن أرحل إلا عن طريق صناديق الاقتراع»، فيما وحّد المتظاهرون في شمال اليمن وجنوبه هتافهم: «نريد إسقاط النظام»، بعدما كان الجنوب يدعو إلى الانفصال عن الشمال.

المعارضة ترفض

وقد رفضت أحزاب «المشترك» الدعوة إلى الحوار، وقالت في بيان لها: إنه «لا حوار مع الرصاص والهرّاوات وأعمال البلطجة، ولا حوار مع سلطة تحشد المرتزقة والمأجورين لاحتلال الساحات العامة ومداخل المدن وإرهاب الأهالي وتعكير السكينة العامة».

وأضاف البيان: إن «الضجيج المثار من قِبَل السلطة وأجهزتها الإعلامية عن الحوار مع «المشترك» وشركائه في اللجنة التحضيرية لا يعدو أن يكون مجرد تضليل للرأي العام».



ودعت أحزاب «المشترك» جميع المكونات الحزبية والمجتمعية للنزول إلى الشارع ومساندة المحتجين، وطالبت الأحزاب بـ«الالتحام بالشباب المحتجين وجماهير الشعب في فعالياتهم الاحتجاجية الرافضة لاستمرار القمع والاستبداد والقهر والفساد».

ومن جانب آخر، هدّد عشرة نواب بالاستقالة من الحزب الحاكم، بسبب ما قالوا: إنها «اعتداءات على المتظاهرين والصحفيين وقمعهم، وصمت البرلمان اليمني عن الأحداث».

هيئة العلماء

وفيما كان «صالح» يعقد مؤتمره الصحفي، كان علماء اليمن يعقدون مؤتمراً مشابهاً، أعلنوا فيه وقوفهم إلى جانب المتظاهرين؛ حيث حرّموا الاعتداءات التي يتعرضون لها.

وطالب رئيس هيئة علماء اليمن الشيخ «عبدالمجيد الزنداني» بضرورة احترام حق المواطنين في التعبير عن مطالبهم من خلال المظاهرات والمسيرات السلمية، مؤكداً ضرورة ملاحقة من قام بالاعتداء بالضرب أو إطلاق الرصاص على المتظاهرين سلمياً، كما اعتبر أن «ممارسة تلك الأعمال بحق المتظاهرين سلمياً جريمة متعمَّدة لا تسقط بالتقادم».

الشيخ الزنداني: الاعتداء بالضرب وإطلاق الرصاص على المتظاهرين سلمياً جريمة متعمَّدة لا تسقط بالتقادم

ودعا بيان صدر عن هيئة العلماء جميع أبناء اليمن؛ من سائر القيادات والزعامات والقوى والفعاليات في جميع المحافظات والمناطق والقبائل اليمنية إلى عقد مؤتمر وطني، والاتفاق على حلول للمشكلات الراهنة، كما طالب بضرورة سحب وإلغاء جميع الإجراءات الانفرادية التي أدت إلى تأزم الأوضاع (في إشارة إلى إجراءات الحزب الحاكم في البرلمان)، وإقالة كل الفاسدين والعابثين بمقدرات الأمة ومحاسبتهم من ثبت قضائياً، وتشكيل لجنة متفق عليها للبت في قضايا النزاع بين كل الأطراف.

الحوثيون

وقد تزامنت هذه التحركات السياسية مع تحركات ميدانية؛ حيث انضم المتمرّدون «الحوثيون» إلى قائمة المطالبين بإسقاط النظام، واحتشد عشرات الآلاف في مسيرات بمنطقة «ضحيان» بمحافظة «صعدة» وهم يرددون شعارات، من بينها: «يسقط النظام»، و«يا شعبي يكفي استعباد، سلمية وإلا فجهاد».. كما عبّر المتظاهرون عن موقفهم الداعم والمساند للمسيرات الشبابية والشعبية في «صنعاء» و«تعز» و«عدن» و«أبين» وبقية المناطق الأخرى.

وقال «عبدالملك الحوثي» زعيم حركة الحوثيين: إن «خروج المواطنين للتظاهر في مختلف المحافظات تحت شعار واحد وهدف واحد؛ يتمثل في المطالبة بالتغيير، سيحرّر الشعب اليمني من الهيمنة والظلم، وسيعزز من دور الشعب في صناعة مستقبله وتحمُّل مسؤوليته، وهذا كفيل باستعادة مشاعر الوحدة الوطنية بين مختلف فئات الشعب».■





آن لك يا قلمي.. أن تكتب بعد أن حُبست أنفاسك مثلي أسبوعين كاملين وأكثر، استجديتك مرات ومرات أن تخط تعبيراً أو تحليلاً أو حتى تسجيلاً لموقف، لكنك بقيت مثلي مشدوهاً مشدوداً تلجمك الأحداث، وتزاحم الأضغاث في أحلام مبعثرة وخيالات متناثرة!

اكتب يا قلم.. ملحمة النصر في مصر!

سامي محمد العدواني

اكتب يا قلمي.. ملحمة النصر في مصر، ذلك الشعب الذي ما خذلنا يوماً في أمتنا، ولا نكس رأساً لجبروت الطغاة برغم هول ما أثخنوا فيه، فسنوات الصبر وجلد الأيام ما فتت عزيمته، ولا ذلت شكيمته ولا أناخت أحلامه.

اكتب يا قلمي.. لحظة الإشراق التي انتشرت فعمت القفار والآفاق، لتعلن عهد الصعود بعد دهر الصمود الذي لبّد أرجاءنا وسربل كبرياءنا بالهواجس والظنون، فتلاشت صرخات المخاض الطويل بصيحات الوليد الجديد!

اكتب يا قلمي.. وخذ من مداد دموعي، ومن عرق جلدي وجَلَدي؛ لتصوغ التعبير تلو التعبير، كزفرات لاهبة اختزلت الغيظ والغضب على حر الأيام الضائعة من رصيد أمتنا، وسنوات الإرعاب التي أرهقت مسيرتنا، ونكلت بحضارتنا وعراقتنا حفنة من الرعاع اللاهين بالفت، واللاهثين على الفتات.

اكتب يا قلمي.. بل اصرخ يا قلمي وردد كما كنت تزمجر في مرجل قلبي: «سقط النظام»، «هرب الظُّلّام»، «استيقظ النُّوّام»، «تحققت الأحلام»، كنا نتلهى صغاراً بقصة «فانوس علاء الدين»، لم نكن ندرك أن المارد المحبوس في الفانوس هو أنت أيها الشعب العظيم!

اكتب يا قلمي.. عن الفرق بين الرقمين (٥٢، ٢٥)؛ فهي أكثر من أن تحصيه ذاكرة، فالأول في عمر السنوات، والثاني بالأيام، الأول عسكر الأمة بسياط وجلاد، والثاني أيقظ الأمة من سبات ورقاد، الأول شرذم الناس وفرقهم، والثاني جمع الناس ووحدهم، الأول طغى واستبد، والثاني أعاد الأمل واسترد الغد!

سجّل يا قلمي.. فعل الشباب الشداد، الذين قزموا مخاوفنا، وناضلوا بأعمارهم وأحلامهم وصرخات أهلهم؛ ليكونوا درع الركب وصدارة الموقف في مهمة مستحيلة، خرجوا لها بأجسادهم النحيلة وتجاربهم القليلة، همهم أن يتوقف النزف الهادر من أنين الوطن المكلوم، فكان لهم ما أرادوا واستجاب لهم البشر والقَدَر!

عبّر يا قلمي.. عن نضال أخت الرجال، لم تكن ظلاً في ملحمة النصر، بل كانت قائدة رائدة في رباطها وجلدها وجهادها إلى جانب إخوانها، شاركت بالفكرة والكلمة، بالصورة واللوحة، بالتغذية والخدمة، بالحوار والإقناع، ترد الشائعات وتطرد التخذيل، تثبت القلوب وتستمطر النصر بالصبر والدعاء، بل سقت من دمها وقود الشموع في ساحة التحرير.



اهتف يا قلمي.. واستنطق مدادك حين تتجلى قامة أهل العلم من نطق بلسان الصدق في ميدان الحق، حين ساد الهرج انبرى من يجلي لها الصراط المستقيم ويسوسها بسلطان الدين القويم - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ (المائدة) - تاقت نفوس علمائنا لمجد أمتنا المفقود؛ فاستشرفت في نبوغ هذا الجيل ما يعيد لها عزتها ويرجع لها كرامتها، وتجاوزت الثلة التي أراقت ماءها على أبواب السلاطين! فزاحمت أكتاف الشباب في الميادين وحناجرهم صيحات العلماء وهتافات الحكماء، فأضافت لمفاخر النصر صفحة تليدة ترصعت بنبلهم وتضحياتهم.

دوّن يا قلمي.. ما فعل المغتربون العاملون في أرض الله من أبناء مصر، من سعوا طلباً للرزق الذي حال بينهم الفساد، أو لاذوا هرباً من سطوة الاستبداد، منهم من ترك ما في يده من عمل وغادر والتحق باعتصامات الأبطال ميادين العز والشرف، ومنهم من خاض المظاهرات وسيّر المسيرات وحاور الفضائيات، وحشد المناصرين في «النت» وعبر الشبكات، قلوبهم وجلة على بلدهم وأهلهم، لكنهم حوّلوا الانفعالات إلى أفعال!

سطر يا قلمي.. صرخاتك لا على ورق أو كتاب بل في كل ميدان وجدار وسحاب، في كل قصر أو بيت مسكون أو خراب، سطر كلماتك وانشرها في كل موقع «نت» أو قناة تلفزة أو صوت مذياع يشدو ويهتف: «فجر الصبر يا مصر صار إلى صباح!».■



من الدعوة إلى «إصلاح النظام» إلى الدعوة إلى «إسقاط النظام»، بدا المطلب السياسي هو المحرّك الأول لاحتجاجات البحرين الأخيرة، التي دعا إليها مجموعة من الناشطين عبر شبكة الإنترنت منذ ٢٨ يناير الماضي، محاولين استنساخ الثورتيْن التونسية والمصرية، رغم الفارق الكبير في الظروف السياسية والمعيشية والبنية السكانية للبلاد.

بين إصلاح النظام وإسقاطه.. تكمن «الطائفية» في التفاصيل

البحرين.. محاولة غير واقعية لاستنساخ الثورة المصرية

المظاهرات نفّذها شباب من الشيعة.. فالتحرّك «طائفي» بامتياز وإن كان خطابهم الإعلامي يحاول إظهار غير ذلك

المنامة: عبدالحكيم الشامي

اختار المحتجون يوم ١٤ فبراير - وهو يوم الاحتفال بالذكرى العاشرة لـ«ميثاق العمل الوطني»، الذي تم الاستفتاء عليه عام ٢٠٠١م، وحاز نسبة تأييد وصلت إلى ٩٨,٤٪ - لينظموا مسيرات مطالِبة بتحسين الظروف المعيشية، وتوفير فرص العمل، وزيادة الرواتب، وتوفير السكن الملائم، مضافاً إليها تحويل مملكة البحرين إلى «ملكية دستورية» على غرار «المملكة المتحدة»، بحيث يتم تشكيل الحكومة من الأغلبية البرلمانية، ووقف ما أسموه بـ«التجنيس السياسي».

وطالب بعضهم صراحة بتخفيف قبضة «آل خليفة» على مقاليد الأمور؛ إذ تتركز السلطة والثروة في أيديهم - على حد قولهم - منذ حكمهم للبلاد عام ١٧٨٢م، مؤكّدين أنه «حان الوقت لتداول السلطة والتوزيع العادل لموارد الدولة على المواطنين».

نزعة طائفية

في المقابل، أكد مراقبون أن هذه المطالب تحركها نزعة طائفية أكثر من كونها «مطالب عادلة»، لسببين:

أولهما: أن الداعين إلى الاحتجاجات هم من الشباب المنتمي إلى الطائفة الشيعية، كما أن غالبية المشاركين فيها من أبناء هذه الطائفة.

وثانيهما: أن نسبة البطالة في البحرين لا تتعدى ٣,٦٪، وفق أحدث الإحصاءات الرسمية، ويبلغ نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي سنوياً ٢٥ ألفاً و٤٢٠ دولاراً وفقاً لتقديرات البنك الدولي لعام ٢٠٠٨م، وهو من أعلى المعدلات العالمية، كما جاءت البحرين في الترتيب (٣٩) من أصل (١٦٩) دولة في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية عام ٢٠١٠م، الذي ذكر أن المملكة حققت معدلات تنمية بشرية مرتفعة جداً.

ورغم سيطرة المشهد الطائفي على



الاحتجاجات، التي انطلقت بالفعل مساء الأحد ١٣ فبراير، فقد حاولت الحكومة احتواء الموقف بإجراءات استباقية قبل هذا التاريخ بنحو أسبوعين، حيث قررت تخصيص اعتمادات مالية لدعم الأسر محدودة الدخل بقيمة ١٠٠ مليون دينار، وزيادة مبالغ الدعم الحكومي للسلع الغذائية الأساسية من ٩,٨٨ إلى ٩,١٣٢ مليون دينار، وزيادة المساعدات الاجتماعية من ٨,٢٨ إلى ٤٠ مليون دينار.

كما أمر عاهل البلاد الملك حمد بن عيسى آل خليفة بصرف مبلغ ألف دينار (حوالي ٢٧٠٠ دولار) لكل أسرة بحرينية، وقرر إعادة تأهيل المتهمين في أعمال تخريبية، والمحكومين من الشباب صغار السن (وكلهم من الشيعة) عن طريق وضع برامج تعليمية وتدريبية وتوعوية خاصة بهم، ووجّه باتخاذ الإجراءات الكفيلة بإنهاء تقديم عدد من المحامين لمجلس تأديب، وهم المنسحبون من الدفاع في قضية ما عُرف بـ«التنظيم الإرهابي»، الذي يضم ٢٥ متهماً حرّضوا على أعمال عنف وتخريب خلال السنوات الماضية.

وبجانب هذه الإجراءات، لوَّح النظام بـ«عصا الشدة»؛ فتحدث كلٌّ من الملك ورئيس الوزراء الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة عن جاهزية قوات الأمن وقوات الجيش للدفاع عن كل شبر من الوطن، وجرت اتصالات مع بعض دول الجوار ومع الولايات المتحدة بهدف «بحث الوضع الأمني في المنطقة، والسبل الكفيلة بحفظ الأمن والاستقرار».

تحرّكات أمنية

كانت الخطة الأمنية لمعالجة الأحداث – حسب معلومات مؤكدة – تقوم في البداية على منع أي تجمع للمتظاهرين وتفريقه في بدايته بأقصى سرعة ممكنة، دون استخدام أي وسائل عنيفة، ومن ثَم رابطت مجموعات أمنية عند مداخل القرى وعلى الطرق الرئيسة المؤدية إلى العاصمة «المنامة»، ونجحت بالفعل في تفريق تظاهرات صغيرة مساء الأحد وصبيحة الإثنين (١٣ و١٤ فبراير)، إلا أنه مع تجمّع مئات من المتظاهرين مساء الإثنين في منطقة قريبة من «دوار اللؤلؤة» وسط العاصمة أدى إلى اشتباكات انتهت بسقوط قتيل وعدد من الجرحى، وتطوّر الأمر في صبيحة الثلاثاء؛ فسقط قتيل آخر أثناء تشييع جنازة الأول.

واشتعل الموقف؛ ليتجمع المتظاهرون بالمئات في قلب «دوار اللؤلؤة»، وينصبوا خيامهم، ويرفعوا سقف مطالبهم، ما أدى إلى وقوع مواجهة عنيفة فجر الخميس ١٧ فبراير، انتهت بإخلاء الدوار تماماً بعد سقوط أربعة قتلى وما يزيد على مائة جريح من المتظاهرين وقوات الأمن، ونزلت قوات الجيش إلى الشوارع في محاولة لإحكام السيطرة على الموقف.

معالجات سياسية

سياسياً، أمر الملك بتشكيل لجنة تحقيق في مقتل الشابين أول الأمر، وقدّم وزير الداخلية الشيخ «راشد بن عبدالله آل خليفة» اعتذاراً لأهاليهما، إلا أنه مع تطور الأحداث فقدت هذه الإجراءات فعاليتها، خاصة بعد إعلان كتلة جمعية «الوفاق الوطني» الإسلامية الممثلة للشيعة انسحابها النهائي من «مجلس النواب» (البرلمان)، والذي تُمثَّل فيه بثمانية عشر عضواً من أصل أربعين.

ومساء الخميس ١٧ فبراير، اجتمع وزراء خارجية دول «مجلس التعاون الخليجي» بالعاصمة «المنامة» مؤكدين تضامنهم مع قيادة وشعب البحرين.. وعقد وزير الخارجية البحريني الشيخ «خالد بن أحمد آل خليفة» مؤتمراً صحفياً عقب الاجتماع، أكد فيه أن تحرك الشرطة كان ضرورياً لمنع انزلاق البلاد إلى هاوية «الطائفية»، وأن الجيش يحمي البلد، ويحمي الدماء، ولم يوجِّه سلاحه إلى المواطنين، كما أكد أن المملكة لم تتلقَّ أي مساعدة خارجية للتعامل مع المتظاهرين.

وفي محاولة لاحتواء الموقف وتهدئة الخواطر ونزع فتيل الأزمة، دعا ولي العهد الأمير «سلمان بن حمد آل خليفة» إلى حوار غير مشروط مع جميع قوى المعارضة الشيعية والسُّنية لبحث مطالب الإصلاح، الذي اعترف بأنه يمشي «بعجلة بطيئة»، وقال: «نحن الآن في وضع غير طبيعي، وعلى مفترق طرق».

وقرر الملك إعطاء جميع الصلاحيات لولي العهد؛ للتحاور مع مختلف الأطراف والفئات، وقوبلت هذه الدعوة بترحيب سُنّي ورفض أو تمنّع شيعي؛ حيث اشترطت بعض الجمعيات لبدء الحوار سحب قوات الجيش من الشارع ومنع قوات الأمن من قمع المتظاهرين، وهو ما حدث بالفعل ابتداء من السبت ١٩ فبراير،

عدد المتظاهرين لا يعبِّر عن إجماع داخل الطائفة الشيعية.. فمن بينها من يعترض على التظاهر ويرفضه تماماً

حجم المظالم لا يمكن مقارنته بما يعاني منه الناس في تونس ومصر.. وليس هناك إجماع شعبي على مطالب محدّدة

لكن المتظاهرين ما لبثوا أن عادوا إلى «دوار اللؤلؤ»، غير عابئين بدعوات الحوار، ومطالبين باستقالة الحكومة، وقالت السلطات: إن المشاركين في التظاهرات المستجدة هم من أتباع جمعيات وحركات سياسية شيعية متطرفة وغير مرخصة.

من جانبه، وقف الشارع السُّني في البداية على الحياد، لكنه مع تصاعد الأحداث لجأ إلى تنظيم مسيرات مؤيدة للسلطة ومشددة على ضرورة استقرار البلاد.

شرعية النظام

وفي بيان لها (الجمعة ١٨ فبراير)، وصفت جمعيات تعبّر عن التيار الشيعي والتيارات اليسارية - وهي: «الوفاق الوطني» الإسلامية، و«العمل الوطني» الديمقراطي، و«المنبر الديمقراطي» التقدّمي، و«التجمع الوطني» الديمقراطي، و«العمل» الإسلامي، و«التجمع القومي» الديمقراطي، و«الإخاء الوطني» - وصفت ما جرى في «دوار اللؤلؤة» بأنه «مجزرة بشعة»، وحمّلت الحكومة ووزير الداخلية وجميع من اتخذوا أو شاركوا في قرار الهجوم مسؤولية هذا الفعل.

أما جمعية «المنبر الوطني» الإسلامي (الإخوان المسلمون)، فأكدت أنها «تشاطر الغالبية العظمى من أبناء هذا الشعب إيمانها بشرعية النظام القائم بمختلف مؤسساته، وبحكم آل خليفة الذي التف حوله الشعب بمختلف فئاته وطوائفه إثر الاستفتاء الذي أجرته الأمم المتحدة عند استقلال الدولة، والذي تكرَّس في الإجماع الذي لا يدع مجالاً للشك في استفتاء شعبي وطني حر صوتت فيه الغالبية العظمى لميثاق العمل الوطني، وأقرت من خلاله بشرعية النظام القائم».

وقالت: إنه «مع وجود العديد من المطالب الإصلاحية والملاحظات التي لدينا، كما لمختلف قوى الشعب، إلا أننا نؤكد ضرورة طرحها من خلال الوسائل الدستورية، وتلافي النزول إلى الشارع، والتشاور والتلاقي بين مختلف الطوائف والتيارات حولها».

وأضافت الجمعية: «نؤكد للعالم أن المطالبات الأخيرة، التي تزداد في سقفها إلى المطالبة بإسقاط النظام، مرفوضة تماماً من قبَل غالبية الشعب؛ حيث يُراد بها خلط الأوراق والدعوة إلى ما لا توافق عليه الغالبية العظمى من الشعب، وإن زيادة الاحتقان الطائفي - بدفعٍ من بعض التيارات المتطرفة وعناصرها في المهجر - لا نتيجة له إلا زيادة الاستقطاب الطائفي وإضاعة الفرصة على عقلاء الشعب وقواه السياسية من مختلف الفئات؛ بالعمل على أي تعديلات دستورية أو إصلاحات تُجمع عليها القوى بصورة وطنية».

وتابعت: «إن التداول السلمي للسلطة هو مبدأ نبيل في حكم الشعوب ديمقراطياً، ولكن في المجتمعات التي يوجد بها استقطاب طائفي، وتنتشر فيها جمعيات سياسية مبنية بناءً طائفياً في لحظتها الحاضرة، تصبح معها المناداة بهذا المبدأ محاولة لاستئثار طائفة للحكم على حساب طائفة أخرى؛ فننتقل بمجتمعنا من حكم العائلة إلى حكم الطائفة، وهو ما لا يخدم السلم الاجتماعي والاستقرار الذي يعمل الجميع على تحقيقه».

ماذا بعد؟

يؤكّد المحللون السياسيون أن احتجاجات البحرين لن تفضي إلى تقويض النظام السياسي، وإن كانت ستؤثر في بنيته وطريقة تعاطيه مع الواقع على المدى البعيد، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: أن الأحداث دعا لها ونفذها شباب ينتمي إلى الطائفة الشيعية بكل وضوح، ولذلك فالتحرك طائفي بامتياز، وإن كان الخطاب الإعلامي للقائمين عليه يحاول إظهار غير ذلك.

ثانياً: عدد المتظاهرين وإن وصل إلى آلاف، كما تصور بعض وسائل الإعلام، لا يعبر عن إجماع داخل الطائفة الشيعية، إذ إن من بينها من يعترض على التظاهر ويرفضه تماماً، خصوصاً القريبين من السلطة، ومن لهم مصالح معها.

ثالثاً: حجم المظالم لا يمكن مقارنته بمصر وتونس، وليس هناك إجماع شعبي على مطالب محددة.

رابعاً: نسبة الخدمات الاجتماعية في البحرين معقولة جداً ومكفولة مجاناً في كثير من القطاعات؛ مثل التعليم والصحة، والمطالب المرفوعة سياسية بالأساس.

خامساً: النظام البحريني قدم معونات مالية وأنفق بسخاء لزيادة دعم السلع الأساسية والمعونات الاجتماعية، ووعد بأشياء من شأنها أن تؤثر في قطاع من المواطنين غير مهتمين أصلاً بالشأن السياسي.

وبالتالي، فالمرجّح هو استقرار النظام السياسي في البحرين مهما تصاعدت وتيرة الأحداث أو استمرت لوقت طويل، ولكنها ستفرض إجراء تغييرات في اتجاه انفتاح سياسي يلبّي طموح جميع أطياف المعارضة، مراعياً - في الوقت ذاته - وضع البحرين في المنظومة الإقليمية والدولية، بالنظر إلى أن هناك متغيرات خارجية تؤدي دوراً رئيساً في أهمية حفظ استقرار الحكم، لأن تقويضه يعني تدويل الموضوع وإحداث انقسامات كبرى في المنطقة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن السعودية وإيران على خطوط التماس المباشر مع البحرين.■

محلّلون: الاحتجاجات لن تقوّض النظام السياسي لكنها ستؤثّر في بنيته وطريقة تعاطيه مع الواقع على المدى البعيد

تقويض النظام يعني تدويل القضية وإحداث انقسامات كبرى في المنطقة.. خاصة أن السعودية وإيران على خطوط التماس المباشر مع البحرين

مطالب المتظاهرين ليست عادلة.. لأن:

- **نسبة البطالة لا تتعدّى ٣,٦٪**
- **نصيب الفرد من إجمالي الدخل القومي سنويا ٢٥ ألفاً و٤٢٠ دولارا.. وهو من أعلى المعدّلات العالمية**
- **جاءت البحرين في الترتيب (٣٩) من أصل (١٦٩) دولة في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية عام ٢٠١٠م**

ألهمت الثورة المصرية عدداً من الشعوب العربية ضد حكامها، ولكنني أريد أن تنظر الشعوب ببعض البصيرة، وأن تراعي أين تقع المصلحة العليا، وكيف يمكن أن تحقق الثورات هذه المصلحة العليا.

ماذا يحدث في البحرين؟

د. عبدالله الأشعل (*)

في مصر، كانت المصلحة العليا في البداية هي مطالب يستطيع الرئيس «مبارك» تحقيقها، ولكن تبيَّن أنه جزء من تركيبة الفساد الذي استعلى على كل نداءات الإصلاح، وأن التحالف بين الفساد والاستبداد لا انفصال بينهما، وأن النظام مستعد لإراقة دماء المصريين بعد أن طالب الثوار بإزاحة النظام بكامله، وتحتاج هذه الثورة إلى زخم أكبر حتى تُنهي النظام السابق، وتفتح صفحة جديدة لنظام يريده الشعب.. وقد وقعت الثورة المصرية بدرجات متفاوتة في العالم العربي مع واقع متباين، ولكني أحذر من القياس الخاطئ في كل من البحرين واليمن.

ففي البحرين، وقعت الثورة من الشيعة وحدهم، فهي ليست ثورة شعبية شاملة؛ مما قد يؤدي إلى حرب أهلية، كما أن البحرين تأثرت بقربها من إيران فأصبحت ضحية الصراع بين إيران والولايات المتحدة.

صحيح أن الاحتجاجات في البحرين ليست ثورة، ولكن الصحيح أيضاً أن بعض مطالبها يستحق النظر فيه بجدية.. وأمام البحرين ثلاثة سيناريوهات:

أولها: أن استحكام الحالة بين الحكومة والشيعة يؤدي إلى حرب أهلية، كما يمتد بألسنة اللهب إلى مناطق أخرى في دول محايدة، ويؤدي إلى تحقيق ما نحذر منه وهو الفتنة الطائفية بين السُّنة والشيعة، وهو أمر سعت إليه «إسرائيل» والولايات المتحدة في العراق ولبنان.

كما أن واشنطن حاولت بكل الطرق أن يصطف العالم العربي وراء «إسرائيل» ضد العدو الجديد وهو إيران، ومعنى هذا - وفقاً لهذا الطرح - صرف النظر عن التوحش الصهيوني في فلسطين وضياع الحقوق الوطنية الفلسطينية، بل وأن يدفع العرب ثمن هذا في معركة «إسرائيل» ضد إيران بدلاً من أن يكون العرب فاعلين في قضاياهم القومية.

السيناريو الثاني: إخماد الفتنة دون النظر في مطالب الشيعة، وهذا خطأ كبير؛ لأنه لا يمكن إغفال أن نصف سكان البحرين على الأقل من الشيعة، وكلهم عرب، ولا يمكن اتهامهم بتبعيتهم السياسية إلى إيران.

وقد شجعت الثورة المصرية المعارضات دون تمييز؛ فاشتعلت المعارضة الإيرانية ضد النظام، وكلهم شيعة وهي معارضة سياسية، واشتعلت المعارضة الليبية ضد «القذافي».. ولا يفيد القول الآن بجدوى الوصاية الأبوية على الشعوب وعدم الاستماع إلى أبنائها والنزول من البرج العالي إلى أماكن وجودها.

وإذا كانت المعارضة في البحرين معارضة طائفية، فإن المعارضة في اليمن تهدد بتقسيم البلاد بسبب مواقف الحكومة، وتضع هذه التطورات الإنسان العربي أمام خيارين أحلاهما مر، إما تقسيم اليمن، وإما المحافظة عليه في ظل نظام لا يُرضي كل شعبه، وكان يتعين عليه إدراك أن بلاده خلال العقود الأربعة الأخيرة اختلفت عنها عندما تسلم الحكم فيها.

صحيح أن الاحتجاجات ليست ثورة شعبية شاملة.. لكن الصحيح أيضاً أن بعض مطالبها يستحق النظر فيه بجدّية

ولهذا، فإنني أهيب بكل الحكام العرب أن ينظروا إلى شعوبهم، وأن يلتمسوا الشرعية من رضا هذه الشعوب؛ لأن الحماية الأجنبية ليست مضمونة مادام الحاكم قد فقَدَ ما يقدمه مقابل هذه الخدمة.

وبهذه المناسبة، فقد حذرتُ في مؤتمر بجنوب أفريقيا عام ٢٠٠٦م أمام السفراء العرب، وكان الوفد «الإسرائيلي» حاضراً، من أن الالتصاق بين الحاكم و«إسرائيل» يفصل الحاكم عن شعبه كما ينفصل الرأس عن الجسد، ويصبح الرأس عند «إسرائيل» لا قيمة له.

السيناريو الثالث: قيام ملك البحرين شخصياً بالتشاور مع زعماء الشيعة والسُّنة، وأن ينفذ ما يصلح للبلاد بشطريها الشيعي والسُّني، وبذلك يصبح ملكاً للجميع.

وأرجو أن يضع مصلحة البحرين والمنطقة العربية فوق كل اعتبار، وليعذرني كواحد من أكبر المحبين للبحرين وشعبها، وكانت أولى خدمتي الدبلوماسية فيها عام ١٩٧١م، وإدراكاً عميقاً بما يعتمل فيها الآن، وإنني أثق في حكمة ملك البحرين الذي سبق جميع الدول العربية إلى الديمقراطية في هذه الجزيرة الحالمة في الخليج العربي.

إن تعقيد وضع البحرين لا يحتمل أن يُقذف بها في أتون الصراع الإيراني الأمريكي، ولذلك، فإني أوجه كلمتي إلى إخوتي من الشيعة الذين يعرفون مواقفي جيداً، وحرصي على الدماء العربية الزكية، وأرجو ألا يعتبروا ذلك تدخلاً في شؤون بلادهم، وإنما هو حرص قبل أن تفلت الأمور من أيدي الجميع، وأرجو أن يغلّبوا مصلحة البحرين التي يجب أن يكونوا طرفاً أساسياً فيها بالحوار على كافة الاعتبارات الأخرى.

والحقيقة، إنني منحاز للسيناريو الثالث، وأرجو أن تتمكن القيادة في البحرين من الوصول بها إلى بر الآمان؛ لأن الخطر محدق بالجميع، والضرر يحيق بالوطن، وموقع البحرين وتركيبتها الاجتماعية وتطور الأوضاع في المنطقة يفرض على الجميع الحذر عند تناول هذه القضية.■

(*) مساعد وزير الخارجية المصري الأسبق

استلهاماً من الثورة المصرية والتونسية، بدأت الأزمة في البحرين عن طريق دعوة على موقع «فيسبوك» للتظاهر يوم ١٤ فبراير؛ في ذكرى التصويت على الميثاق الوطني الذي مر على الاستفتاء عليه عشر سنوات، وكان اللافت أن الغالبية العظمى من المشاركين في التظاهرة التي خرجت في بداية الأزمة كانت من الطائفة الشيعية، وهو ما يجعلها تختلف في طبيعتها عن الثورتَيْن المصرية والتونسية اللتَيْن خرجت فيهما جميع الطوائف والتوجّهات؛ ما أعطى لهما زخماً ونكهة وطنية توافقية.

مراقبون: نستبعد تماماً تكرار ما حدث في تونس ومصر

أزمة البحرين.. مطالب سياسية ذات صبغة «طائفية»



المنامة: حسام العطيفي



الملك حمد بن عيسى آل خليفة



الأمير سلمان بن حمد آل خليفة

دعوة ولي العهد إلى الحوار جاءت في وقتها لتنزع فتيل أزمة شديدة وتبعث برسائل طمأنة إلى المجتمع كله

إضافة إلى اختلاف طبيعة المجتمع البحريني، الذي يتشكل من الطائفتَيْن السُّنية والشيعية، الأمر الذي يجعل للبلاد وضعاً خاصاً يصعب مقارنته بالوضعَيْن المصري والتونسي، كما أنه مرتبط بوضع ومزاج خليجي عام أعلن بوضوح – من خلال اجتماع لوزراء دول مجلس التعاون الخليجي في «المنامة» بعد الأزمة – دعمه الكامل لحكومة البحرين..

كما طالب عدد من دول الخليج المعارضة البحرينية بضرورة الاستجابة لدعوة الحوار، ومن خلال هذا السياق يستبعد المراقبون تماماً تكرار ما حدث في مصر وتونس في البحرين.

جمعية «الوفاق»

وقد بدأت هذه الاحتجاجات بمطالب ضد ما أسموه التمييز الذي يواجه الطائفة الشيعية، ورغبتها في إجراء إصلاحات في النظام السياسي، إلا أن هذه المطالب – وبمرور الوقت – ارتفع سقفها ليطالب بإقالة الحكومة.

وكانت جمعية «الوفاق الوطني» الشيعية التي يمثّلها في البرلمان ١٨ نائباً (من إجمالي أربعين) بعيدة نوعاً ما في بداية الأمر عن هذه الاحتجاجات، غير أنها أعلنت انضمامها للمحتجين وانسحابها من «مجلس النواب»، بعد تعرّض المحتجين لعنف من جانب قوات الأمن والجيش؛ أسفر عن وفاة عدد من المحتجين وإصابة العشرات، وهو ما يضع البرلمان والبلاد في أزمة سياسية.

وبهذا الانسحاب، خلقت «الوفاق» مشهداً ليس غريباً على الساحة السياسية البحرينية، وهو انسياق الجمعيات خلف الشارع بدلاً من تأطير حركته وتثقيفه، وحمل مطالبه إلى طاولة الحوار، وهو ما تكرر مع بعض الجمعيات المحسوبة على التيارَيْن اليساري والعلماني، التي لا يوجد لها أي تمثيل في البرلمان البحريني لضعف شعبيتها في الشارع، والتي سارعت إلى الانضمام للاحتجاجات.

ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ حيث دخل أحد أهم المرجعيات الشيعية في البحرين الشيخ «عيسى قاسم» على الخط، وأعلن رفضه للحوار الذي دعا إليه ولي عهد البحرين؛ اعتراضاً على ما يحدث من عنف ضد المتظاهرين، وهو ما أشعل الشارع الشيعي الذي استدعى هتافاً مشهوراً لـ«حزب الله» اللبناني، وهو «هيهات منا الذلة»، ما أدى إلى سخونة الشارع ورفع سقف مطالبه بإقالة الحكومة، وهو شعار يُرفع لأول مرة في الشارع بشكل علني، وإن كان الأمين العام لجمعية «الوفاق» ورئيس كتلتها النيابية السابق الشيخ «علي سلمان» قد أعلنه في وقت سابق داخل البرلمان؛ حيث طالب بضرورة أن يتم تداول سلمي للسلطة عبر صناديق الانتخابات.

وبعد تدخل المجلس العلماني بقيادة



المجتمع يتشكّل من الطائفتيْن السُّنية والشيعية وهو ما يجعل للبلاد وضعاً خاصاً يصعب مقارنته بدول أخرى

الشيخ «عيسى قاسم» في الموضوع بقوة، بدا المشهد مخيفاً في البحرين؛ لما لها من خصوصية في التركيبة السكانية السُّنية والشيعية، خاصة وأن سقف المطالب التي ترفعها المعارضة الشيعية بقيادة «الوفاق» لم تكن تقبل بها الطائفة السُّنية، وظهر هذا بوضوح شديد يوم الجمعة قبل الماضية (١٨ فبراير)، بعد أن انطلقت تظاهرات مؤيدة للنظام الحاكم، في مقابل احتجاجات وسقف مطالب مرتفع للشيعة.

وقد دفع هذا الأمر ولي عهد البحرين الأمير «سلمان بن حمد آل خليفة» إلى الظهور مرة أخرى على التلفزيون البحريني، متحدثاً بعفوية، وداعياً إلى الحوار والتعقل والتهدئة، ومحذراً من خطورة أن يتسبب ما يجري على الأرض من أحداث في حرب أهلية.. وأعلن أن الحوار غير مشروط، وأنه لا مانع من طرح أي مطالب على طاولة الحوار للنقاش حولها.

ويرى بعض المراقبين أن دعوة ولي العهد إلى الحوار جاءت في وقت حساس جداً؛ لتنزع فتيل أزمة شديدة وتبعث برسائل اطمئنان إلى المجتمع ككل.

وقد تلقفت المعارضة الدعوة بحذر وحرص لسخونة الشارع، معلنة قبولها الحوار بشرط سحب قوات الجيش من «دوار اللؤلؤة» الذي تمركز فيها، بعد أن فض المعتصمين منه بالقوة؛ ما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى، وقد استجاب ولي العهد لذلك وقام بسحب الجيش، ما ترتب عليه عودة جماهير المعارضة للاعتصام مرة أخرى في الدوار.

شروط عديدة

وفي بيان لها رداً على دعوة ولي العهد للحوار، اشترطت جمعيات شيعية: الوفاق الوطني، والعمل الوطني الديمقراطي، والمنبر الديمقراطي التقدمي، والإخاء الوطني، والعمل الإسلامي، والتجمع القومي الديمقراطي، والتجمع الوطني الديمقراطي لبدء الحوار، والكشف عن مصير المفقودين منذ الهجوم على المعتصمين فجر الخميس ١٧ فبراير الجاري، وقيام الحكومة بمزيد من الإجراءات الإيجابية التي تعزز الأرضية المناسبة لبدء حوار وطني جاد يثمر إصلاحات جذرية، وسرعة الإفراج عن جميع السجناء والمعتقلين في القضايا ذات الأبعاد السياسية، وتبييض السجون من نزلائها، إضافة إلى وقف الشحن الطائفي والفئوي في وسائل الإعلام المحلية الرسمية، وتحويل هذه الوسائل إلى منصة للإعلام الحر المحايد، وهو ما يُعَدُّ مرونة في الموقف تجاه الحوار، بعد أن كان مشروطاً في بداية الأمر بإقالة الحكومة.

وبالتوازي مع التفاوض للحوار، أعلنت جمعية «الوفاق» والجمعيات المتحالفة معها تنظيم مسيرة تنطلق من مجمع البحرين «جيان» وصولاً إلى «دوار اللؤلؤة»؛ دعماً لتحركات الشباب المطالِبة بالإصلاحات السياسية.

وقال رئيس اللجنة المنظمة للمسيرة النائب «جواد فيروز»: إن اللجنة شكلت العديد من اللجان، ونظمت صفوف المنظمين تحت العديد من التخصصات؛ لإخراج المسيرة في أكثر صورة مناسبة وحضارية أمام العالم؛ لتعبر عن المطالب السلمية التي يرفعها أبناء الشعب.

تجمّع الوحدة الوطنية

على الجانب الآخر، شكل عدد من الجمعيات السياسية السُّنية - في مقدمتها جمعية «المنبر الوطني» الإسلامي (إخوان مسلمون)، وجمعية «الأصالة» الإسلامية (سلفيون)، وعدد من الجمعيات الأخرى - تحالفاً أسموه «تجمّع الوحدة الوطنية»، رافعين شعار «لا للتهميش»، في إشارة منهم إلى أن لهم مطالب، وأن الساحة البحرينية ليست مقتصرة فقط على الطائفة الشيعية وعدد من الجمعيات المتحالفة معها، وأنه يجب عدم إقصاء أحد من الحوار، وينبغي أن تُوضع مطالبهم على طاولة الحوار التي تضم جميع القوى السياسية، معلنين اعتصاماً مفتوحاً لحين الاستجابة لمطالبهم.

وقد أصدر التجمع بياناً أكد فيه تمسكه بشرعية نظام الحكم القائم، وأن استقرار البلد أولوية قصوى لا يمكن المساومة عليها، وأن المشروع الإصلاحي الذي بدأ منذ عشر سنوات كان بداية الانطلاق للتغيير إلى الأفضل، وأنه لن يكون نهاية المطاف؛ حيث إن الدعوة إلى الإصلاح والعمل له أمران يجب استمرارهما.

ودعا البيان جميع المواطنين إلى العمل على تهدئة الأوضاع، والشروع في حوار وطني شامل لجميع القوى والأطياف الوطنية، وإطلاق جميع سجناء الرأي.

وشدد البيان على أن أي مطلب وطني لا يمكن إقراره والاستجابة له دون توافق عليه من جميع مكونات المجتمع البحريني تعبيراً عن الإجماع الوطني.

وحث البيان جميع الطوائف على التمسك بقيم الوحدة الوطنية، ونبذ الممارسات الطائفية، والوقوف مع بعضهم بعضاً في المطالبة بالحقوق المشروعة السياسية والاجتماعية.. كما دعا إلى التكاتف والتراحم، وممارسة حق الاحتجاج بأساليب سلمية وروح وطنية منفتحة، وتقبّل رأي الآخرين، وتجنّب روح الانتقام.■

لقد ظلت النخبة في العالم العربي تلوم الشعوب على أنها غافلة وغير واعية ولا تتحمل المسؤولية، وليست في مستوى تطلعات التغيير والإصلاح، وأنها شعوب طحنتها الأنظمة وأسكنتها في مربعات طلبات السكن والشغل ولقمة العيش، وأنها شعوب تهتم بما يشبع البطن أكثر مما تهتم بما يوقظ العقل.. وهي مواقف تعكسها مقالات وكتب ودوريات وتصريحات، ونتج عنها عزلة كبيرة بين الطرفين، رغم أن عوامل الشراكة بينهما كبيرة ومتعددة.

حتى لا تتحوّل «ثورة الشارع» إلى «شارع الثورة»!

فاروق أبو سراج الذهب (*)

واليوم، وبعد ميلاد حركة الشارع العربي الذي أسقط كل الحجج التي كانت تتذرّع بها النخبة، وأصبح سقف الشارع أكبر من سقف النُّخَب، وصارت النُّخَب تابعة لحركة الشارع؛ سواء تلك التي تريد الالتفاف على حركته، أو تلك التي تابت عن غيِّها وانسجمت مع الحركة الجديدة للشارع العربي.

ونقطة إسقاط الشعاع هنا، كما يقول رواد الهندسة، هو أن حركة الشارع اليوم في حاجة ماسة إلى النخبة التي تعرف كيف تتعامل مع مطالبه، وتحاول جاهدة أن تصنع منها مشروع الإصلاح السياسي، وكل اختلاف بينها سيتسبب في انتكاسة كبيرة للشارع لمدة طويلة من الزمن.

فإذا كان الشارع قد أدّى الذي عليه في مرحلة يأس النخبة من الإصلاح، فإن الدور اليوم على هذه النخبة من أجل التخلي عن أنانياتها السياسية، والتنافس على الريادة والبطولة، والاجتهاد في البحث عن صيَغ تحقيق تطلعات المجتمع، حتى لا تتحول ثورة الشارع إلى مجرد لافتة تأريخية يُكتب عليها «شارع الثورة»!

نتائج معاكسة

وعندما نقلّب صفحات التاريخ، وتحديداً في الفصول الخاصة بالثورات، نجد أنها تبدأ بالانتفاضة على وضع قائم سواء أكان احتلالاً أم استبداداً، وتقودها شخصية أو زعيم ثوري، وتنتهي بالإطاحة بالدكتاتور أو المستعمر، ويتولى الزعيم الثوري السلطة محدثاً تغييرات جذرية في الأفكار والأشياء والأشخاص.

لكن ثورة شباب «فيسبوك» و«تويتر» و«يوتيوب» والفضائيات في كل من تونس ومصر أعطت نتائج معاكسة، أو لم تظهر نتائجها بعد.. ومن جهة أخرى، فإن الذي كنا نقرؤه دائماً ونسمعه من المعارضة والمفكرين والنُّخَب في كل البلاد العربية أن النظام العربي هو نظام عسكري؛ سواء جاء بالثورة أو بالانقلاب.

لكننا اليوم نسمع أن الجيش التونسي لم يكن في بؤرة السلطة، وأنه كان على الهامش، ثم نسمع أن الجيش المصري اليوم هو جيش عصري لا شأن له بالسياسة كذلك، وذابت كل تلك الأقوال والدراسات والمداخلات والمواقف في ماء الثورات الجديدة، وأصبحنا نتحدث عن نظام عربي تحكمه الشرطة وأعوان الأمن، وإذا ما حدثت ثورة أو انتفاضة أو احتجاج فإن هذا الجهاز هو الذي يتحمل المسؤولية وينبغي أن يتغير.. إننا نعيش في زمن الانقلاب الكلي في المعارف والنظريات.

الشعب الجزائري سيبقى يترقّب وينظر من ثقب الباب متسائلاً عمّا حدث.. فإذا ما خرج ضحّى بنفسه!

بالأمس كانت الثورة من الشعب إلى الشعب.. واليوم أصبحت من الشعب إلى الجيش!



أسئلة محورية

وفي سياق فحص مآل الثورات، نبدأ بتونس؛ حيث قام الشعب بدون زعامات معروفة بثورة ذكية خلعت الرئيس الذي غادر البلاد، وتم تسليم السلطة إلى حكومة مؤقتة مشكلة من الوزير الأول السابق الذي عينه «بن علي»، ولم يتم حل البرلمان بغرفتَيْه، وكان موقف الجيش حيادياً وضامناً لمكتسبات الثورة (أو هذا ما تم تسويقه لنا).

وفي مصر، قام الشعب بدون قيادات معروفة، وأطاح بالرئيس في مدة ١٨ يوماً، وتم تسليم الثورة للقوات المسلحة التي يقودها

(*) كاتب جزائري



وزير الدفاع.. هذه القيادة أبقت على حكومة «مبارك» بشكل مؤقت، وحلت البرلمان بغرفتَيْه، ومنعت بعض الوزراء من السفر، وجمدت أرصدتهم، وأمرت بإخلاء الساحات.

وفي كلتا الثورتين كانت النتيجة تسليم الثورة إلى الجيش، وتأجيل حكم الشعب إلى حين تنظيم انتخابات رئاسية وبرلمانية ومحلية (ستة أشهر بالنسبة لمصر، وستة أخرى بالنسبة لتونس).. هذا على الأقل ما يمكن الوصول إليه كنتائج لثورتين سال حبر كثير عنهما، ودفعت بشعوب وأنظمة أخرى إلى أخذ النموذج والدرس.

والأسئلة المحورية في كل ذلك: هل مطلوب منا كشعوب أن نقوم بالتضحيات والثورات، ثم نسلم المكتسَبات إلى الجيوش التي تُعَدُّ الثابت الأوحد في أنظمتنا، ثم ننتظر التغيير على أيديها؟ أم أن هذا السؤال يُعَدُّ سابقاً لأوانه، لأنه من الظلم أن نتهم الثورة والثوار بعدم الوعي بمعطيات السياسة الحالية؟ وهل أصبح التغيير عن طريق الانتفاضة على الحكومات بواسطة الجيش أم أن زمان الانقلابات العسكرية قد ولى، وأصبح الشعب هو الوسيلة الناجعة لفرض الديمقراطية والحرية والتنمية؟

القيادة ليست جاهاً إنما مسؤولية وعبء ثقيل وتضحية يجب أن يستلمها ذوو الكفاءة والأخلاق والوعي

أهداف منشودة

إن النتائج التي أفرزتها الثورة التونسية الحديثة، والثورة المصرية الجديدة هي نتائج ذات قامة عالية وقيمة غالية، واستطاعت أن تفتح الباب أمام التغيير حتى لو لم تصل إلى الحكم والسلطة، وقد تصل إلى جزء منه في الانتخابات القادمة.. لكن التحدي الكبير أمام تحقيق أهداف الثورة هو النخبة والقيادات السياسية التي قد تختلف في تقدير حجم المكتسبات، وترغب في الحصول على المزيد لاسيما في الفترة التي تسبق الانتخابات.

الفرق إذاً بين الثورات القديمة والحديثة هو في المآل، فالقديمة كانت لها قيادة واضحة وصلت إلى التغيير والسلطة، ثم ترهلت وتكلست وتفرّقت بين الثوار السبل، والحديثة لم تكن لها قيادة أو زعامة وسلمت مكتسباتها إلى غيرها في انتظار تحقيق الأهداف المنشودة.. والمطلوب من الثوار أن يحافظوا على ثورتهم من الاختطاف، وأن يدققوا في القادم من الأيام، ذلك أن إنجازات الثورة تحققت بفضل الله أولاً، ثم الوحدة والاجتماع على موقف وشعار واحد.

مستقبل الثورة

إن سقف الثورة ينبغي أن يبقى عالياً كما كانت شعاراتها في السماء، وإذا حدث اختطاف للثورة التونسية أو المصرية بعد الانتخابات القادمة من خلال توليفات سياسية مع ما سُمِّي شباب أو شخصيات إلكترونية، فإن الإثم لا يقع على الشعوب التي رفعت من قيمة النخبة في السوق السياسية ووضعتها على رؤوسها من أجل قيادة حاضر ومستقبل الثورة، ذلك أن الشعوب خرجت عن بكرة أبيها وبلغت السقف وحققت المراد، وبقي الدور على النخبة السياسية الواعية.

إن تصريح جماعة الإخوان المسلمين في مصر وحركة النهضة في تونس بعدم الترشح لمنصب الرئاسة سيفرض عليهما في المستقبل اختيار إحدى الشخصيات المطروحة في الساحة التونسية أو المصرية، وستجد كل جماعة نفسها تفاوض من أجل مواقع عادية في المجتمع والسلطة؛ حيث ستُطرح عليها أسئلة الواقع السياسي بإلحاح، ومنها المشاركة في الحكومة.

وستجد كل جماعة نفسها تتدحرج في أروقة سياسية لا تحقق الهدف، في حين سيتقدم غيرها إلى مواقع حساسة، وبعد فترة من الزمن ستضعف قوتها التفاوضية (القوية الآن)، وستجد نفسها تفاوض على وجودها وعلى حجم تمثيلها، في الوقت الذي يرى الكثير من المراقبين أنه ما كان مثلاً للثورة المصرية أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا قوة وتنظيم وانتشار وانضباط جماعة الإخوان المسلمين.

حرارة التغيير

إن سقف اليوم ليس كسقف الغد، وحرارة التغيير اليوم ستنخفض لا محالة، وإذا أردت أن تشكِّل الحديد فشكِّله وهو ساخن، أما التردد والانتظار فسيؤدّي إلى ضياع الفرصة وإضعاف الموقف، ثم يتدنى السقف وتُعاد تجارب دول عربية كانت سابقة في الثورة على الوضع القائم، كما حدث في الجزائر عام ١٩٨٨م.

ولذلك، تجد شباب الجزائر اليوم غير مكترث ولا منبهر بثورة مصر أو تونس، ويعتبر نفسه شباباً مبدعاً غير مقلِّد لغيره، ويستشهد بأنه كان سبّاقاً إلى رفض الظلم والدكتاتورية والحزب الواحد، وعايش الانحراف الذي حدث ويعرف نتائجه، وتبارى مع شباب مصر على مواقع التواصل الاجتماعي؛ مثل «فيسبوك» و«تويتر» و«يوتيوب»، وحقق السبق.. وهذا ما لم تفهمه بعض الشخصيات التي سكتت طويلاً، وعادت اليوم لتركب موجة شباب تونس ومصر، وغفلت عن موجة شباب الجزائر، الذي يرى أن ما حدث في تونس ومصر متأخر عن ركب التغيير بعشرين عاماً.

هكذا هو الشعب الجزائري، شعب بسيط وذكي، ويبقى يترقّب وينظر من ثقب الباب، يسأل عما حدث.. فإذا ما خرج ضحّى بنفسه!■



منعت قوات الأمن الجزائري للسبت الثاني على التوالي المسيرة غير المرخصة التي كان من المقرر أن تنطلق من «ساحة الوئام» بقلب الجزائر العاصمة إلى «ساحة الشهداء»، وكان مصير المتظاهرين عصي الشرطة من جهة لتفريقهم، ودلاء الماء على رؤوسهم من سكان المنطقة الذين اعتبروا هذا التجمّع إزعاجاً لهم ولا يمثلهم.

الشرطة الجزائرية تُجهض مسيرة احتجاجية وسط العاصمة

الجزائر: انشراح سعدي

وأرجعت السلطات منع المسيرات في الجزائر العاصمة إلى «أسباب لها صلة بالنظام العام»، واعتمدت قوات الأمن على خطة الانتشار بساحة الوئام؛ نقطة انطلاق المسيرة التي دعت إليها «تنسيقية التغيير والديمقراطية»، لمنع وصول المتظاهرين الذين تراجع عددهم بكثير عن المسيرة الماضية، وأغلقت جميع المنافذ المؤدّية إليها، وطبّقت شعار «ممنوع الوقوف» على الجميع حتى على رجال الإعلام؛ حيث قام أعوان الأمن بتفريق أي مجموعة يزيد عددها على ثلاثة أشخاص، وطلبت منهم الانصراف.

وتضم التنسيقية كلاً من: التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، والرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان، والجمعية الوطنية لعائلات المفقودين، واللجنة الوطنية للدفاع عن حقوق العاطلين.

وفي مدينة «وهران» (٤٥٠ كم غرب العاصمة الجزائر)، تجمّع بضع عشرات من المواطنين بإحدى القاعات لطرح تساؤلات حول مشكلات المواطنين، وللقيام مجدداً برفع جملة من المطالب تتمثل على وجه الخصوص في «رفع حالة الطوارئ، وفتح المجال أمام الحريات الفردية والجماعية، وإحداث التغيير السلمي»، حسب أحد المنظمين.

ومن جهة أخرى، قال الناطق الرسمي باسم التجمع الوطني الديمقراطي «ميلود شرفي»: إن «البلاد التي عاشت سنوات طويلة مع الإرهاب وويلاته التي واجهها وحده، لا تُعطى لها الدروس اليوم في حماية أمنها واستقرارها ومصالح مواطنيها، وإن الاحتجاج والتظاهر عندنا ظاهرة معتادة منذ عقدين من الزمن.. وحتى في أصعب المراحل التي عرفتها الجزائر وشارعها في حالة تفاعل، وكذا تجاوب الحكومة بمختلف مؤسساتها هو تفاعل له نتائجه في الميدان».

وأضاف «شرفي»: إن «نمط التعددية والديمقراطية موجود في بلادنا، وهو مكسب عظيم منذ أحداث ٥ أكتوبر ١٩٨٨م نعتز به ويجب المحافظة عليه».

أما الأمين العام لحركة الإصلاح الوطني «جمال بن عبدالسلام»، فقد شدد على ضرورة اللجوء إلى «الحوار» لحل المشكلات في الجزائر، وقال في كلمة ألقاها خلال تجمع شعبي بالمركز الثقافي الإسلامي في «الشلف»: إن «الحوار هو الوسيلة التي تضمن الاستقرار وتجنب وقوع تجاوزات ذات انعكاسات خطيرة في البلاد».

وذكر في هذا السياق أن «حركته تدعو إلى التغيير السلمي الذي يجب أن يمر عبر حل المجلس الشعبي الوطني، وتشكيل حكومة وطنية، وتعديل الدستور وفتح الحقل الإعلامي».. وأكد أن حركته «تدين التدخل الأجنبي في تسيير شؤون البلاد»، مؤكداً أنه «إذا كان لابد أن يكون هناك حكم حول تسيير البلاد فيجب أن ينبثق عن الشعب الجزائري».

أغلقت جميع المنافذ المؤدّية إلى «ساحة الوئام».. وقامت بتفريق أي مجموعة يزيد عددها على ثلاثة أشخاص

وكان رئيس الوزراء الجزائري «أحمد أويحيى» قد أعلن أن إلغاء حالة الطوارئ، المعمول بها في البلاد منذ ١٩ عاماً، سيتم قبل نهاية فبراير ٢٠١١م، بحسب ما نقلت عنه وكالة الأنباء الرسمية.

وقال «أويحيى» الذي يشغل في الوقت نفسه منصب الأمين العام للتجمع الوطني الديمقراطي (ليبرالي) خلال اجتماع لأحزاب التحالف الرئاسي: إن «رفع حالة الطوارئ سيتم قبل نهاية الشهر الجاري، بالإضافة إلى الإعلان عن العديد من القرارات المتعلقة بالسكن والشغل وتسيير الإدارة».

وجاءت تصريحات رئيس الحكومة خلال كلمة ألقاها في افتتاح الاجتماع التنسيقي الذي تعقده أحزاب التحالف الرئاسي - وهي: جبهة التحرير الوطني (قومي)، والتجمع الوطني الديمقراطي، وحركة مجتمع السلم (إسلامي) - بمناسبة مرور الذكرى السابعة على تأسيس هذا التحالف الذي يشغل حالياً أغلبية مقاعد البرلمان.

وشدد «أويحيى» على «ضرورة عدم إغفال الشرارة التي تمر عبر العالم العربي والإسلامي»، مشيراً إلى «وجوب تقديم حلول للمشكلات التي يعاني منها الشباب الجزائري، بحسب ما نقلت عنه الوكالة الجزائرية.■

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الأنعام).

تهنئة وتحية وإجلال واحترام لشعب مصر العظيم، الذي توجه إلى قاعدة الاستبداد والظلم والعمالة والخيانة والفساد بكل صوره وأشكاله، والحرب لله ورسوله.. فزلزل بنيانها وهز أركانها، وجعل عاليها سافلها، وقدم في سبيل ذلك من التضحيات الغالي والنفيس بصورة حضارية راقية بهرت العالم، وأصبحت معلماً تفخر به أمتنا في تاريخ البشرية المعاصر.



د. عوض بن محمد القرني

إلى شعب مصر العظيم:

استمروا في ثورتكم حتى تتحقق جميع أهدافكم



لقد أعادت هذه الثورة المباركة لأمتنا وجهها الأصيل، وأملها في المستقبل المشرق بالوحدة والنهضة والتحرير.

لقد خلطت هذه الثورة الكثير من الأوراق، وأعادت النظر في كثير من المفاهيم، وغيّرت ترتيب كثير من الأولويات.

لقد فاجأ الشعب المصري النظام الظالم ومريديه من الفاسدين والمجرمين، ومناصريه الإقليميين من الجهلة الساذجين والخائفين، وأسياده من الصهاينة والمستعمرين.. فأتاهم الله جميعاً من حيث لم يحتسبوا، وأعلن الشعب العظيم من أول يوم أهدافه المتمثلة في سقوط النظام، وإلغاء قانون الطوارئ، وتعديل الدستور أو تغييره، وحل المجالس المزوّرة، وإطلاق السجناء السياسيين.. فواجههم النظام البائد بالاعتقال والحديد والنار، وإطلاق وسائل إعلامه بالكذب والافتراء على الأخيار الأبرار من شباب مصر، واتهمهم بالعمالة لقوى خارجية، وأجندة أجنبية، ووقفت الأمة كلها وراء شعب مصر العظيم ووراء ثورته المجيدة، إلا شراذم قليلة من الساسة والإعلاميين الذين أرادوا أن يطفئوا نور الحق بظلام الباطل، لكن عصر ثورة الاتصالات والفضائيات كشفت الحقيقة وكانت همزة الوصل بين أفراد الشعب المصري، وكذلك مع مناصريهم في كل مكان.

ومارس النظام من الأساليب القمعية الإجرامية ما لم يخطر على بال أحد؛ مما زاد حماس الناس والتفافهم حول أهداف الثورة النبيلة، واستنصر النظام البائد وأشياعه في المنطقة بأمريكا وخوفهم بأن البديل هو الفوضى أو الإسلاميون، وألقت «إسرائيل» والصهيونية بثقلها وراء النظام العميل، وترددت أمريكا بين الانحياز للشعب للحفاظ على ما يمكن الحفاظ عليه من مصالحها، أو الانحياز إلى ضغوط الصهيونية وأنصار «حسني مبارك» في المنطقة؛ ولذلك اضطربت قراراتها؛ مما أوهم رأس النظام العميل أن في إمكانه المناورة والبقاء وقمع الشعب وثواره النبلاء، لكن ذكاء الثوار وزخم الجماهير وصلابة إرادتهم وقبل ذلك توفيق الله؛ أسقط كل المناورات، حتى سقط رأس النظام، وتحققت أولى الثمرات التي نادى بها الأحرار، وفي هذا المقام أوجه الرسائل الآتية:

الرسالة الأولى لشعب مصر وثورته المجيدة:

أنتم الأساتذة، لكنها مشاعر نحوكم أيها النبلاء، إن الفرحة بسقوط الطاغوت عظيمة، لكن لا يجوز أن تشغلكم الفرحة عن الاستمرار في ثورتكم حتى تتحقق جميع أهدافكم، لقد أنجزتم هدم أكثر بنيان الباطل وزيفه وزيفه، لكن مخالبه القذرة وشباكه الخفية مازالت قائمة، وستحاول أن تسرق منكم إنجازكم وتضيع انتصاركم وتدخلكم في متاهات وصراعات لا حدود لها، تدعمهم قوى عالمية وإقليمية وطوائف محلية.

الرسالة الثانية للشعوب العربية والإسلامية:

لقد أثبت الشعب المصري أنه مهما كان جبروت الظالم، ومهما كان بطشه، ومهما كان الدعم له من الأعداء؛ يتلاشى أمام صبر وثبات وتضحيات الشعوب.

الرسالة الثالثة إلى حكام العرب والمسلمين:

أقول لمن كان منهم له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد: اصطلحوا مع ربكم وشعوبكم وتاريخكم وأصالتكم، وانفضوا أيديكم من الركون لـ«إسرائيل» وأنصارها في الغرب، وأغلقوا آذانكم وأبوابكم في وجوه الفاسدين من بطانة السوء، والتفتوا لمصالح شعوبكم وحاجاتها وقضايا أمتكم وآمالها، واعلموا أن أمر الله إذا جاء لا راد له، وأن أمريكا لا يهمها عملاؤها، إنما يهمها مصالحها.

الرسالة الرابعة إلى الغرب وبخاصة عقلائه من الساسة والمثقفين:

الغرب الذي شكل غطاء وحماية للاستبداد والفساد والظلم في منطقتنا مقابل قبول هذه الأنظمة بـ«إسرائيل» علناً أو سراً، حتى لو كان ثمن ذلك باهظاً من مستقبل الشعوب ومصالحها.

أقول لهؤلاء الغربيين: إنكم بهذا السلوك الخاطئ تجنون على مستقبل مصالحكم ومصالح شعوبكم في هذه المنطقة المهمة من العالم.

إن شعوبنا لن تقبل باستمرار أن يصادر حقها في الانتماء لهويتها وثقافتها، والدفاع عن قضاياها ومصالحها ومستقبلها ووحدتها ونهضتها.

إن أمتنا لن تقبل من الغرب دعمه للاستبداد والفساد وانتهاك الحقوق ونهب الثروات.

إن احترام خصوصيتنا، والقبول بالشراكة معنا، والتخلي عن روح الهيمنة، وإعطاءنا حق تقرير مصيرنا كعرب ومسلمين، وعدم ازدواج المعايير في التعامل معنا ومع قضايانا؛ هو الضمانة الوحيدة لقيام علاقة سليمة ونظيفة وطبيعية بين منطقتنا والغرب وبخاصة أمريكا.■



الثورة المصرية..

بريشة رسّام الكاريكاتير العالمي «كارلوس لاتوف»

WAKE UP EGYPT!

#JAN25

LATUFF 2011

«خالد سعيد» صارخاً: «أفيقي .. يا مصر!». (حبيب العادلي.. يصم أذنَيْه!)

EGYPT

LATUFF 2011



«خالد سعيد» (شهيد الطوارئ، وضحية التعذيب) في عيد ميلاده التاسع والعشرين (٢٧ يناير ١٩٨٢م).. يسحق وزير الداخلية السابق «حبيب العادلي»





الزعيم!

ليس الزعيم من يقود على هواه، وإنما الرائد الذي لا يخون أهله، والإمام الذي يقدّمه شعبه.. وليس الزعيم من تُطلق عليه الألقاب جزافاً، أو من لقَّب نفسه بذلك، أو من يغتصب الرتبة، سواء أكانت الإمامة في الصلاة، أم الولاية على مراتبها، لذلك جاء حديث النبي ﷺ واضحاً: «لعن الله رجلاً أمَّ قوماً وهم له كارهون».. والإمامة أو الزعامة مسؤولية، وتعني إعانة الناس على تدبير شؤون دينهم ودنياهم بتفانٍ وإخلاص؛ بتفويض حقيقي منهم.

لا أحد من أبناء الشعب يجرؤ على معارضته.. ومن يفعل ذلك يكن مصيره السجن والتعذيب مثل كثير من الأحرار!

الجبابرة والمستبدّون يعطون قراراتهم صفة الأمر الإلهي.. ولكن بدل أن يسمّوها «آيات» يسمّونها «مراسيم»!

عبدالباقي خليفة

وإذا تحدّثنا عن الولاية السياسية والإمامة في الدولة، نجدها تجمع المساعدة وحسن التدبير، مع التربية الحسنة والعناية الفائقة، وغالباً ما يتبع الزعماء المزيَّفون والساسة الفاسدون فرعون مصر ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾(غافر).. كما يتبعونه في تعقّب الصالحين الموحّدين، بعد أن أعلن قائلاً: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى(٢٤)﴾(النازعات)، وقال عن النبي موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾(غافر).

فالجبابرة والمستبدّون يعطون قراراتهم صفة الأمر الإلهي، ولكن بدل أن يسموها «آيات» يسمونها «مراسيم».. ورغم أن الكثير منهم لا يعلن أنه «إله»، بيد أنه يتصرّف كذلك، فله السمع الدائم، والطاعة الكاملة، ولا أحد من أبناء الشعب يجرؤ على معارضته، ومن يفعل ذلك يُزجُّ به في السجن؛ كالكثير من الأحرار الذين لا يذكرهم ولا يتحدث عنهم أحد، خوفاً من «الفراعين المتألهين»، وهؤلاء الأحرار لا يزالون في زنزانات الظلمة في الدول العربية.

والواقع أن شهوة السلطة تبرر جميع الوسائل القذرة للاحتفاظ بالحُكم، ولو كان بالظلم والقهر وسجن الأحرار، دون التفات لأوضاع أسرهم، بل تجويع أهاليهم مطلوب لذاته ليكونوا عبرة لمن يعتبر.. ومع ذلك، لا يُرون الناس إلا ما يَرون، وما يهدونهم إلا إلى سبيل الرشاد الفرعوني.

وقد رأينا في كثير من الأقطار «الإسلامية» كيف يمثّل الدعاة – والإسلام أحياناً – العدوَّ الأول، للطواغيت المستبدّين.. وإن لم يُصنَّف الإسلام كذلك في بعض الأقطار، إلا أنه يتم الاستعانة بكل عدو للإسلام في الجامعات ووسائل الإعلام لدرء عودة التوحيد صافياً نقياً من كل شرك؛ سواء تعلق بالقبور أو بالقصور، وسواء كان شرك الربوبية أو شرك الألوهية، أو شرك الذات والصفات، أو شرك التشريع والتقنين، أو اغتصاب ولاية الأمة وتحريفها وتمييعها وتعليبها.

كل ذلك ينطبق على كثير ممن يوصفون تجاوزاً بـ«الزعماء العرب» في القرن العشرين، والعشرية الأولى، وبداية العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين.. زعماء فاسدون ومفسدون، لا يَصلُحون ولا يُصلِحون.. فقد كان جلاوزة «بن علي» في تونس، وأزلام «حسني مبارك» في مصر يتحدثون عما يصفونه بـ«المكاسب والإنجازات»، التي لم تكن مفهومة للكثير من أبناء الشعب، وبعد سقوطهما تبيَّن أن المكاسب والإنجازات هي تلك السرقات الضخمة التي لم نكن نتخيّل أنها بلغت أرقاماً فلكية.

وكما اعترف أحدهم، فإن تلك الثروات لم يجمعوها ليكونوا أغنياء، وإنما جمعوها وهرّبوها إلى الخارج لتدمير البلدان وإفقار الشعوب.. فبأي أناس نصّبهم الغرب فوق رؤوسنا؟ وأي بشر يحكموننا ولا نعرف عن قذارة أيديهم وقبل ذلك ذممهم إلا القليل؟ وهل من الحكمة في شيء السكوت عن ذلك أو الرضا باستمراره، ونحن نشاهد ارتفاع أسعار كل شيء دون تراجع؟

زعماء رعناء

ماذا قدّم «بن علي» إلى تونس؟ وماذا قدّم «حسني مبارك» إلى مصر؟ وماذا قدّم «معمّر القذّافي» إلى ليبيا؟ وماذا قدّم كل من يدعي الزعامة إلى شعبه وبلاده غير السرقات والظلم والقهر والإذلال، عن طريق قوات القمع التي تجاوز عددها في بلد مثل مصر مليون ونصف مليون جندي؟!

إن المكتسبات التي يتحدث عنها المستبدون هي مكاسبهم من السرقات، والثراء الفاحش غير المشروع الذي يحرسونه بحرصهم على البقاء في السلطة، إلى جانب دورهم في منع انتشار الخير، وإصلاح الأمة.. فقد وصفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبْرية «حسني مبارك» بأنه «كان الحاجز الأخير أمام الصحوة الإسلامية»؛ وهذا ما يفسر تهافت الكثير من الرعناء العرب على «البيت الأبيض» وأعتاب أوروبا؛ لضمان تأييد «مبارك»، حتى أنهم أعلنوا وقوفهم إلى جانب الطاغية دون أن يفيدهم أو يفيده ذلك في شيء.

وهم متشابهون في كل شيء تقريباً؛ كراهية بلدانهم وشعوبهم وسرقتها بشكل فاحش، وكراهيتهم لتعاليم دينهم، وتمسّحهم بأعتاب الغرب.. وبعضهم كـ«حسني مبارك» يتحدث عن دوره في حرب ١٩٧٣م، ورغم الجدل الدائر حول دوره وما فعله، وما يزعم الزعماء المزيَّفون القيام به، فإننا نذكرهم

بأن هناك زعماء غربيين وشرقيين قدّموا ما لم يقدّموه وتركوا السلطة، مثل الزعيم الفرنسي الجنرال «شارل ديجول» (١٨٧٠ – ١٩٧٠م)، الذي حارب النازيين وانتصر، لكنه استقال في حياته ليخلفه «جورج بومبيدو» (١٩١١ – ١٩٧٤م) ، وقد دُعي «ديجول» لرئاسة فرنسا مرتيْن مِنْ قِبَل مَنْ تهمهم مصلحة الشعب لا مصالحهم اللصوصية.. ومن أقواله المشهورة: «لستُ مسؤولاً أمام أحد سوى فرنسا»، بينما الزعماء المزيَّفون يراعون مواقف الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وكل أعداء الأمة حتى الصهاينة.



وأيضاً الزعيم البريطاني «ونستون تشرشل» (١٨٧٤ – ١٩٦٥م)، الذي انتصر في الحرب العالمية الثانية، واستقال عام ١٩٥٥م، وقال قولته المشهورة: «من الأفضل أن تخسر بريطانيا الحرب عن أن يُقال: إنها لا تنفذ حكم القضاء».. ولم يكن زعيماً سياسياً فحسب، بل كان كاتباً ومثقفاً كبيراً حصل على جائزة «نوبل» للآداب عام ١٩٥٣م.

وكذلك الزعيم البوسني «علي عزت بيجوفيتش» (١٩٢٥ – ٢٠٠٣م)، الذي استقال عام ١٩٩٧م بعد أن أعاد استقلال البوسنة بعد نحو ٧٠٠ سنة ظلت فيها تابعة لدول أخرى.. ومن مقولاته رداً على الرئيس اليوغسلافي الأسبق «جوزيف تيتو» الذي سجنه عدة مرات: «ليس الملك من يُطعم الشعب، لكن الشعب من يُطعم الملك».

زعماء حقيقيون

نسوق هذا الكلام على وقع «جمعة الإيمان والنصر» في مصر؛ حيث أمَّ العلامة «د. يوسف القرضاوي» ملايين المصلين، مبرزاً بذلك الإمامة الحقيقية المشتملة على جميع شروط الزعامة في أداء الشعائر وممارسة السياسة، وهي: إعانة الناس على تدبير شؤون دينهم ودنياهم بتفويض حقيقي منهم، والجمع بين المساعدة وحسن التدبير مع التربية الحسنة والعناية الفائقة.

فبعد قرابة ثلاثة عقود مُنع فيها الشيخ «القرضاوي» من الخطابة، كغيره من الدعاة في الكثير من الدول العربية، يعود معزَّزاً مكرَّماً بين الملايين من شعبه، في لحظة تاريخية فارقة، وفي مشهد يتمنى كل مستبد لو كان هو ذلك المكرَّم، وأنى له ذلك؟!

فالناس تُكرِّم العادل السمح المتواضع المحبَّ لأمته، والمتقشف الورع الذي لا

«إنجازات ومكتسَبات» المستبدّين هي الثراء الفاحش غير المشروع الذي يحرسونه بحرصهم على البقاء في السلطة!

شهوة السلطة تبرِّر جميع الوسائل المستخدَمة للاحتفاظ بالحُكم.. ولو كان بالظلم والقهر واعتقال الشرفاء!

صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبْرية وصفت «مبارك» بأنه «كان الحاجز الأخير أمام الصحوة الإسلامية»!

يستفيد من الأموال العامة إلا بما يكفيه ويكفي أسرته كسائر المواطنين، وقد أشار الشيخ «القرضاوي» إلى ذلك قائلاً: إن «هذه الثورة لم تنتصر فقط على النظام السابق، بل على الظلم والباطل والسرقة والنهب والأنانية»، وهي صفات جامعة لمن يسمون أنفسهم «زعماء» تجاوزاً.

إن الزعماء الحقيقيين هم الذين يحبّون أمتهم وتحبّهم أمتهم، وليس أولئك الذين طُردوا من ميادين تونس ومصر، وهم يحملون ألقاب المفكّر والزعيم، بل هناك من لُقِّب بـ«الزعيم» وتم تصويره في أفلام السينما كما لو كان زعيماً سياسياً حقيقياً، لم يجرؤ على الاقتراب من «ميدان التحرير» في القاهرة، وذهبت زعامته هباء منثوراً، كما ذهبت زعامة «حسني مبارك»(!)، ليس ذلك فحسب، بل تم وضع اسمه ضمن القائمة السوداء للثورة.

مشاهد نابضة

لقد أعاد مشهد الشيخ «القرضاوي» وهو يؤم المصلين في «ميدان التحرير» (وليس مفتي الجمهورية، ولا شيخ الأزهر مع احترامنا لهما) مشاهد نابضة من التاريخ الإسلامي، عندما كان للعالم دوره في بنية الدولة الإسلامية القوية، التي تهابها الدول الأخرى، وتدفع لها الجزية مقابل الحماية؛ فأصبحنا في ظل المستبدين المعاصرين، ندفع الجزية مقابل حماية أساطيل الغرب لأنظمة مكروهة من شعوبها؛ بسبب ظلمها واحتكارها للثروة والسلطة!

فهذا «العز بن عبدالسلام» (يرحمه الله) – المغربي مولداً، والمصري داراً ووفاة؛ الملقب

بـ«سلطان العلماء»، والمعروف بـ«بائع الملوك» – قد حظي بهذه الزعامة؛ لتمتّعه بأكمل الصفات وأجمل الخصال وأنبل المزايا.. فمن صفاته الورع؛ حيث رفض توظيف أيٍّ من أبنائه في المناصب التي تحتاج صفات معينة، ورفض طلب الملك «الظاهر بيبرس» قائلاً: «ليس فيهم من يصلح»، وطلب تسمية أحد تلامذته للمنصب وهو القاضي «تاج الدين ابن بنت الأعز».. كما عُرف بالزهد؛ فلم يقبل أي درهم من «بيبرس»، وقد أفتى ببيع الأمراء، وعندما رفض الملك ذلك، خرج من القاهرة، بينما يظل المفتون في عصرنا في مناصبهم ولا يخرجون منها إلا بقرار من الحاكم!

سلطان العلماء

وبينما يقوم الزعماء المزيَّفون بسرقة الثروات وإفقار الشعوب، يضحي الزعماء الحقيقيون من أجل أمتهم بكل ما لديهم، كما فعل «سلطان العلماء».. فعندما ارتفعت الأسعار واضطُر الناس في الشام إلى بيع ممتلكاتهم بأسعار زهيدة، طلبت زوجة «العز بن عبدالسلام» أن يبيع ما لديها من حُلي يشتري به بستاناً، فباعه وتصدّق به، وعندما سألته: «هل اشتريت لنا بستاناً؟»، قال: «نعم، ولكن في الجنة».

لذلك، كان السلاطين يخشونه، فلم يكن لديه ما يخسره، وعندما حال ابنه دون قتله نهَرَه قائلاً: «يا ولدي، أبوك أقل من أن يُقتل في سبيل الله»، لذلك كان زعيماً حقاً، يهابه المستكبرون والمتجبرون، وعندما غادر مصر غاضباً من الملك لحق به أغلب المسلمين، فركب السلطان ولحق به واسترضاه.

باقون في الذاكرة

نرى الزعامة الحقيقية في سلالة بيت النبوة، فالناس بالأفعال لا بالأسماء والألقاب.. فتذكرنا قصة «علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب»، رضي الله عنهم، بأن الزعيم هو الذي تتوّجه الأمة بالزعامة، وليس ذلك الذي يصطنعها اصطناعاً.

والزعيم الحقيقي هو الذي يتوّجه حب الناس، وليس الاغتصاب والغلبة بقوة القمع.. فعندما حجَّ «هشام بن عبدالملك»، فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه من كثرة الزحام، نصب له منبراً وجلس عليه، وفيما هو كذلك إذ أقبل «زين العابدين»؛ فطاف بالبيت، ولما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس وانشقت له الصفوف ومكّنته مكانته من استلام الحجر، فقال رجل من أهل الشام: «من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟»، فقال هشام: «لا أعرفه»، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان «الفرزدق» حاضراً، فقال: «أنا أعرفه»، وأطلق قصيدته الشهيرة الطويلة، التي يقول في أولها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خير عبادِ اللهِ كلِّهِمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ

ليس الزعيم من يقود على هواه.. وإنما الرائد الذي لا يخون أهله والإمام الذي يقدّمه شعبه

الزعيم «الحقيقي» يضحّي من أجل أمته بكل ما لديه.. و«المزيَّف» مثل الهشيم سرعان ما تطويه نار التاريخ!

ماذا قدّم كل من يدّعي الزعامة غير السرقات والإذلال بقوات القمع التي تجاوز عددها في مصر مليون ونصف المليون جندي؟!

كما حصل شيخ الإسلام «ابن تيمية» – يرحمه الله – على الزعامة في الدين، وفي الدفاع عن أرض الإسلام وجهاد التتار في القرن السابع الهجري.. فعندما كان الناس يفرون من التتار، والحاكم عاجز عن ردهم، قام الشيخ فيهم واعظاً ومحمِّساً ومثيراً لغيرتهم على دينهم وبلادهم، بل ذهب للقاء ملك التتار الذي كانت ترتعد الفرائص لذكره، وقال «ابن تيمية» للمترجم: «قل لـ«قازان»: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضٍ وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، وأبوكَ وجدك كانا كافرَيْن وما عملا الذي عملتَ، إنهما عاهدا فوفيا، وأنت عاهدتَ فغدرتَ، وقلتَ فما وفيتَ وجُرْتَ».

وبعد فترة هدوء، عاد بعض التتار إلى الظلم، فحث «ابن تيمية» على قتالهم، وسافر من الشام إلى مصر، ودعا للنصرة، وبعد رحيل التتار قام مع تلاميذه بتكسير الخمارات وإغلاق أماكن الفاحشة في دمشق.

وعندما عاد التتار سنة ٧٠٢هـ، وأحاطوا بدمشق، أقسم «ابن تيمية» على النصر، وقال للناس: «إذا رأيتموني في صف التتار وعلى رأسي المصحف فاقتلوني، لتأكيد فتواه بوجوب قتال الصائل، وقاتل – يرحمه الله – حتى هرب التتار.

هؤلاء هم الزعماء الحقيقيون الباقون في الذاكرة، والخالدون في جنات النعيم بإذن الله تعالى.. أما الزعماء المزيَّفون، فهم مثل الهشيم سرعان ما تطويهم نار التاريخ كصور من ورق!■

يذكر التاريخ أن:

الزعيم البريطاني «ونستون تشرشل» انتصر في الحرب العالمية الثانية ثم استقال عام ١٩٥٥م

..والزعيم الفرنسي الجنرال «شارل ديجول» تولى فترتين رئاسيتين ثم استقال عام ١٩٦٩م

..والزعيم البوسني «علي عزت بيجوفيتش» استقال عام ١٩٩٧م بعد خمس سنوات من استقلال بلاده

يوم الجمعة قبل الماضية (١٨ فبراير)، عادت المظاهرات إلى شوارع مصر؛ وكانت مظاهرة «ميدان التحرير» بقلب القاهرة أكبر من كل ما سبقها، خاصة بعد أن انكسر جدار الخوف عند الناس، وقد سُمِّي ذلك اليوم «جمعة الانتصار» أو «جمعة تكريم الشهداء».. لكن ذلك لم يكن الهدف الوحيد للتظاهر، وإنما كانت هناك رسالة واضحة تجلّت في تبدّل الشعارات من «الشعب يريد إسقاط النظام» إلى «الشعب يريد تطهير البلاد»، ما يعكس الشعور السائد لدى الجميع بأن وتيرة التغيير لا تزال بطيئة جدّاً.



بعد إطلاق شعار «الشعب يريد تطهير البلاد»..

هل باتت الثورة بلا «سلطة» فاعلة؟!

أحمد عز الدين
aezzudden@gmail.com

المشكلة الأساسية التي تواجه الثورة المصرية أنها لم تملك بعد السلطة التنفيذية، التي تمكّنها من إحداث التغيير بالوتيرة المطلوبة، فالسلطة الآن في يد المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذي تسلّم سلطات رئيس الجمهورية، ويبدو أنه فوجئ بهذا الوضع، ولم يكن مهيَّئًا له، وجميع أعضائه قدّموا الولاء لـ«مبارك» باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة.. وقد أعلن المجلس حتى قبل سقوط «مبارك» أنه منحاز للشعب، وجاءت قراراته حتى الآن متفقة مع الرغبة الشعبية في الغالب، ما عدا الإبقاء على حكومة «أحمد شفيق»، التي تحولت إلى «حكومة تسيير أعمال».

ويفسِّر بعضهم حالة البطء في اتخاذ القرار بأنها مرتبطة بطبيعة قرارات المؤسسة العسكرية، فالقرار هنا أشبه بقرار خوض معركة، ينبغي الاستعداد لها جيداً.. أما حكومة «أحمد شفيق» بوزرائها ومحافظيها، فقد عيَّنها النظام السابق، وهي تنتمي لـ«الحزب الوطني» المنهار، ونصف أعضائها مستمرون في مناصبهم من الحكومة السابقة التي قامت الثورة ضدها، كما أن المحافظين في مناصبهم لم يبرحوها.. وهي حكومة متهمة بالفساد، فكيف يأتمنها الشعب على مهمة ملاحقة الفساد؟ كما أنها وزارة يجب أن تُحاكم لا أن تحكم.

أضف إلى ذلك، أنه لم يحدث أي تغيير يُذكر بين مسؤولي الهيئات والمؤسسات والمصالح والشركات القومية.. فهل قدّمت الثورة أكثر من ٣٠٠ شهيد لمجرد إزاحة «مبارك» وبضع أفراد معه، فيما يبقى الحال على ما هي عليه فيما وراء ذلك؟!

قد يدفع الشعب ثمناً غالياً لإزاحة طاغية متشبّث بالسلطة، فإذا ما سقط الطاغية كانت هناك تغييرات جذرية ملموسة، أما إذا لم يحدث التغيير وبقيت الوجوه كما هي، والتصريحات هي هي فإن الشكوك والهواجس تطارد الجميع والمخاوف على الثورة تزداد.

لقد وصل الأمر حد القول: إن «مبارك» لا يزال يمسك بمجريات الأمور من موقعه الجديد في منتجع «شرم الشيخ»، واعتبر الكاتب «محمد حسنين هيكل» أن وجود «مبارك» هناك يخلق مركزاً مناوئاً للثورة، ومن الممكن أن يؤدي إلى تضارب الولاء، مشيراً إلى أن «الاتصالات لم تنقطع مع شرم الشيخ، وهناك قوة أخرى حاضرة هناك أزعم أنها من بعض العناصر الإقليمية والأجنبية التي تهتم



أحمد شفيق

عمر سليمان

بما يجري».

في مواجهة هذا الوضع غير المطمئن كانت مظاهرة ١٨ فبراير، والتي ستتكرر يوم ٢٥ فبراير، ثم بعد ذلك أيضاً؛ للتأكيد على مطالب الثورة.. ويمكن القول: إن تلك المطالب تتعلق بضمانات مستقبلية، لكنها لا تغفل ما حدث في الماضي وتطالب بالقصاص ممن تسبّبوا في إفساد الحياة السياسية، ونهب ثروة الشعب، وانتهاك حقوق الإنسان.

وقد تضمّنت المطالب عدم تمكين نائب الرئيس السابق «عمر سليمان» من تولي أي منصب سياسي أو سيادي، فبعد تعيينه نائباً للرئيس تكشّف الكثير من أعماله التي أثارت السخط الشعبي، وأفقدته الاحترام الذي يحظى به رجال المخابرات.. وفي أول حديث له لشبكة (ABC) الأمريكية بعد توليه منصب نائب الرئيس، شكّك في استحقاق الشعب المصري للديمقراطية.

ولم يُعرف أين ذهب «سليمان» بعد تنحّي «مبارك»، ورجل مثله قد لا ينسحب من المشهد بهدوء، فهو موتور من الثورة التي قوّضت آماله؛ فلا هو بقي رئيساً للمخابرات ولا نائباً للرئيس يطمح للرئاسة.. وعلاقته بجهاز المخابرات لا تزال قوية، فقد تركه منذ أيام قليلة بعد أن أمضى في رئاسته أكثر من ١٧ عاماً، وكل من بالجهاز سبق له أن عمل معه ونفذ سياساته.. وللمخابرات امتدادات في الداخل مثلما تعمل في الخارج، ورغم ذلك لم تصدر أي إشارة من أي جهة مسؤولة بخصوص دور هذا الجهاز في الشأن الداخلي في هذه المرحلة، وبالتأكيد يريد الشعب أن يسمع تطمينات في هذا الشأن.

لقد أشرك «عمر سليمان» المخابرات في تنفيذ سياسات أبعد ما تكون عن المصلحة القومية، واستغل الحرب الأمريكية على ما يُسمَّى بـ«الإرهاب» لاختطاف عناصر مصرية من الخارج، كما جعل من مصر بالاتفاق مع المخابرات الأمريكية محطة لتعذيب المختطَفين ضمن برنامج «التسليم فوق العادي».

ضرب الإخوان

ويقدّم وزير الداخلية الصهيوني الأسبق «عوزي برعام» في مقال له شهادة ذات دلالة حول محاولات «سليمان» التودد لـ«الإسرائيليين» عبر الحديث عن الدور الذي يقوم به في ضرب الإخوان المسلمين، ويشير إلى أنه خلال زيارته إلى القاهرة بصفته وزيراً للداخلية عام ١٩٩٥م، التقى «سليمان» الذي تفاخر أمامه بنجاح النظام المصري في توجيه ضربات للإخوان (المحاكمات العسكرية في العام نفسه)، وأبلغه بأن الإخوان أقوى بكثير مما هو متصور لدى العالم الخارجي، ونقل عنه قوله: «نحن نقطع الليل بالنهار في حربنا ضدهم، من أجل وقف تعاظم قوتهم، وهذا أمر صعب، لأن المساجد تحت تصرفهم» (بدأت حرب تأميم المساجد).

وينقل «ميلمان» عن معارف «سليمان» في «إسرائيل» قولهم: إنه كان شديد الكراهية لجماعة «الإخوان المسلمين»، وحين اضطُر للاجتماع بهم بعد الثورة ادّعى عليهم ما لم يقولوه؛ إذ قالوا: إنهم طلبوا الاجتماع به مباشرة من دون «البرادعي»، وخرج من الاجتماع ليعلن أن المجتمعين اتفقوا على كذا وكذا، وهو ما لم يحدث.

وقام «سليمان» بإظهار مشاعره تجاه الإخوان للأمريكان، ووصفه السفير الأمريكي السابق بالقاهرة «فرانك ريتشاردوني» (وهو أيضاً من رجال المخابرات) بأن «مهمته الوحيدة

وهمّه الأكبر حماية النظام وحياة الرئيس، فولاؤه لـ«مبارك» صلب كالصخر»، موضحاً أن «السلطات المصرية دأبت على التخويف بغول الإخوان».

صديق الصهاينة

وكانت لـ«سليمان» علاقات وثيقة مع رؤساء الوزارات والوزراء وكبار ضباط الجيش والمخابرات الصهاينة، وقالت «د. ميرا تسوريف» المحاضرة في مركز «ديان» بجامعة «تل أبيب» (قبل الثورة): إن «تولي «سليمان» مقاليد الأمور بعد «مبارك» يمثل بالنسبة لـ«إسرائيل» استمرارية مباركة»، مشيرة إلى أن «طريقة حكم مصر عندها لن تتغير، بل ستصبح فقط أكثر لينا ومرونة».. واعتبرته صحيفة «معاريف» الصهيونية (١/٣٠) صديقاً مؤيداً لـ«إسرائيل».

لكل هذه الأسباب وغيرها، يتخوّف المصريون من عودة «سليمان»، خاصة وأن رئيس الوزراء «شفيق» أشار مرة بشكل متعمد إلى احتمال أن يكون له دور، وربما لهذا السبب رد الجيش بأنه لن يكون له مرشح للرئاسة.

استئصال الفساد

ونشير هنا إلى أن الثورة أسقطت المقدّسات الزائفة التي حالت دون الحديث عن الفساد الذي انتشر في قطاعات معينة من الدولة، والأصل أن المؤسسة القومية تستمد احترام الشعب لها بالتزامها الصارم بالقانون، أما حين ينحرف بعض رجالها بها عن دورها استجابة للأهواء، أو تحت الترغيب أو الترهيب فلن يكونوا عندئذ فوق مستوى الشبهات.

ومما يزيد الشعور بالقلق والتوجس أن «شجرة الظلم والفساد» لا تزال قائمة على أصولها، لم تسقط منها سوى بضع غصون وورقات؛ فمن هربوا أو تم التحقيق معهم أو جُمِّدت أموالهم أو مُنع سفرهم لا يزالون يمثلون قلة قليلة من منظومة الفساد التي سادت في العهد البائد، فماذا عن بقية المجرمين؟ لماذا لم يتم التحفظ عليهم؟ ولماذا يُتركون حتى يخفوا الأدلة التي تدينهم والأموال التي نهبوها؟

ليس المقصود إقامة محاكم تفتيش لكل الشعب، ولكن هناك أشخاصاً معروفين، وقضايا فساد معروفة، وملفات جاهزة كانت معدَّة ليستخدمها النظام البائد عندما يريد الانتقام ممن اختلف معه في أمر يخص الفساد المشترك فيما بينهما.. وحتى القضايا القليلة التي تم فتحها تتعلق ببعض صور الفساد المالي، ولا تتناول جرائم القتل والتعذيب والسجن والاعتقال والفساد السياسي.

وهناك تخوّف من أن يكون هذا التباطؤ متعمداً، فقد انتشر الفساد وطال قطاعات كبيرة من المسؤولين في مختلف أجهزة الدولة؛ منهم من ينبغي أن يقوم بدوره في جمع الأدلة وتقديمها لجهات التحقيق، ومنهم من يتولى التحقيق، ومنهم من يجلس على منصة

مطالب الثورة تتعلق بضمانات مستقبلية لكنها لا تتجاهل الماضي وتطالب بالقصاص ممن تسبّبوا في إفساد الحياة السياسية

أسقطت الثورة المقدّسات الزائفة التي حالت دون الحديث عن الفساد الذي انتشر في قطاعات معينة من الدولة

القضاء.. ولا نغفل أن نيابة أمن الدولة التي تتولى بعض التحقيقات كانت على الدوام الذراع القانونية لمباحث أمن الدولة لحبس المعارضين احتياطياً، كما أن نيابة الأموال العامة وبعض دوائر المحاكم كانت مواقفها منحازة بشكل سافر لأهواء النظام، بل إن النائب العام المستشار «عبدالمجيد محمود» الذي يُشرف على التحقيقات الآن يتحمل وزر المظالم التي ارتكبتها نيابة أمن الدولة بحق السجناء السياسيين في عهده.

أمن الدولة

ومن المستغرّب أن يبقى جهاز مباحث أمن الدولة كما هو لا يُمس حتى الآن، ولم نسمع عن إقالة ضابط واحد منه(!)، ولا نفهم هذا الصمت المريب بشأن الجهاز الأول المسؤول عن القمع والقتل والتعذيب والفساد السياسي، وعن المذابح التي ارتُكبت بشأن «ثورة ٢٥ يناير».. فهل تتخوف السلطات منه؟!

هذا الجهاز ينبغي تفكيكه وإعادة بنائه على أسس مدنية لحماية الشعب، وتفكيك الأمن المركزي الذي كان منذ وجوده عصا النظام الغليظة لقمع الشعب.

ولا يقتصر فساد الداخلية على أمن الدولة، فالغالبية العظمى من المنتسبين للوزارة بمختلف رتبهم تركوا وظائفهم الأساسية وتحولوا إلى جمع الأموال، كلٌّ بطريقته؛ من اللواء الكبير الذي يعرف كيف يجمع الملايين، إلى الجندي البسيط الذي يمد يده، وكوَّن كثير منهم ثروات هائلة من الرشاوى والفساد واستغلال السلطة، وارتكب بعضهم جرائم في السجون ونقاط الشرطة.

وقد بدأت الوزارة حملة لتحسين صورتها، يُخشى أن تكون باباً لهدر الأموال العامة ما لم تسبقها تغيرات حقيقية في سلوكيات الأفراد، وأول اختبار للداخلية أن يأتي على رأسها وزير سياسي من خارج سلك الشرطة، فإن رفضوه فلن يستمع أحد للداخلية في كلمة مما تقول.. فالشعب يريد تغييراً جذرياً، أما محاولات تجميل وجه الداخلية بالحملات الإعلامية فلن تُقنع الشعب.

تشرذم بعد اعتصام

وإلى جانب تلك التحديات التي تواجه الثورة من خارجها، هناك تحدٍّ ناشئ من داخلها، وهو بدء تشرذم من اجتمعوا على النظام ليُسقطوه، ثم عادوا يتفرقون كلٌّ في طريق، وكل فريق يدعي أنه الذي قام بالثورة، بل تجد من لم تكن له أدنى صلة بالثورة يدّعي أنه من أوقد شرارتها.. فالثورة حين تنجح يظهر لها مليون أب شرعي، ولو فشلت لتبرأ الجميع منها.

ومن المهم في هذا المجال دراسة تجارب بلدان شهدت ثورات وتحولات سياسية مشابهة، للمساعدة في الانتقال المنظم والدائم نحو مجتمع الحرية والعدالة والديمقراطية.

غير أن الخروج من نظام دكتاتوري إلى ديمقراطية حقيقية يبقى عملية محفوفة بالأخطار وغير مضمونة النتائج، وتتطلب من أجل أن تحظى بفرصة نجاح أكبر أن تتضافر جميع شرائح الرأي العام، أي أن تسلك القوات المسلحة والمجتمع الأهلي وأحزاب وقوى المعارضة والمواطنون العاديون الاتجاه ذاته.. وأساس ذلك ألا يشعر بعضهم بالتهميش، فمن يشعر أنه مهمش سيقوم بعرقلة عملية التحول، كما أن من المهم «حصر أجندة التغيير»، فكلما كثرت المطالب تبدّد الإجماع.■



حين قال «مارتن لوثر كنج» كلمته السائرة: «أنا لديّ حلم»؛ كان يتحدث بأكثر من لغة، أهمها لغة الإنسان.
أحلام المنام ضرب من الخيال، ما زال الإنسان يدأب حتى حقق معظمها، فطار في الفضاء، وأبدع وابتكر وذلل الصعاب وقهَر المستحيل.



بقلم: د. سلمان بن فهد العودة (*)

لـديّ حلـم!

وَإِذا كـانَـت الـنُـفـوسُ كِـبـاراً
تَعِـبَت فـي مُـرادِهـا الأَجـسـامُ

الهدف حلم مؤقت له مدة ينتهي إليها؛ أما الحلم فهو شوق دائم متصل بنبض القلب وخفق الروح وتطلع العقل وسبح الخيال.
حين يتحقق الحلم كأنه يتبخر، إذا قطفته مـات، فأجمل مـا فـي العمر هو الانتظار، لحظات الترقب مشحونة بتفاعل غريب هو ذروة الحياة.
سيظل الحلم حلماً، يُروى بدموعنا، ويقتات من سهرنا، ويستحوذ على يقظتنا ومنامنا.
كان «مارتن لوثر كنج» يقول: «سأزرع شجرة التفاح، ولو كنت أعلم أن نهاية العالم هي الغد».
وهـو اقـتـبـاس مـن مكـنـون الحكمة الإنسانية الرفيعة.
مشكاة النبوة كانت أبلغ حين قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره: «إِنْ قَامَت السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»، مقام النبوة ذكر النخل «الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل»، لم يقل: غداً، وإنما قـال: الآن.. لو اختلست بضع ثوانٍ لتغرس الفسيلة قبل أن يلحقك الفوتُ فافعل!
الحلم نقلة من ضيق اللحظة إلى سَعة المستقبل، من الإحباط إلى الأمل والتفاؤل، من الخوف إلى الرجاء والتطلع.
الطفل الفقير يحلم بتفاحة يقضمها، أو فراش وثير ينام عليه، أو دمية يلعب بها.
الخائف يحلم بالأمان، ولا يفكر بما سواه، والمخاوف هي عدو الأحلام، وحينما يستحوذ الخوف يبدو المرء مكبلاً بالقيود.
قد يعيش المرء في زنزانة يراها ويلمس قضبانها ويحس بأنه محبوس.
وقـد يـعـيـش فـي زنـزانـة لا يـراهـا، ولا يلمس قضبانها ويظن بأنه حرّ، وهو قنٌّ مثقل بأوزار الحديد!
تأمّل لغتك.. كم مرة في اليوم تقول: نعم، ولكن أخشى!
العائلة حلم جميل، إشباع لرغبة الامتداد الإنساني، ورؤيـة الـذات فـي الآخـر، بشكل منفصل جسدياً، متصل روحياً ووجدانياً.
قمة الهرم الثقة بالنفس وقدراتها، والجرأة على بدء الخطوات الأولى نحو الحلم العظيم.

أعـلّـلُ الـنـفـس بـالآمـالِ أرقـبُـهـا
مـا أضيقَ العيشَ لـولا فسحةُ الأمَلِ

ثـمّ مَـن يـحـاصـر الـحـيـاة، وأسـوأ منه مَن يـحـاصـر الأحـلام، فـلا يـريـد مـن الـنـاس أن يـحلموا، أو أن يمتـدّ خيـالهم إلـى أبعـد من معاناتهم اليومية.
السعادة حلم، والنجاح حلم.. والسعادة نجاح، والنجاح سعادة.
والحرية حلم، حتى لدى الطائر يضرب شباك القفص ويرنو إلى الفضاء، أو القط يموء ويتمسح بالباب يطلب الانعتاق من ذل القيد.
والعدالة حلم المجموع، حين تذوب الفوارق المصطنعة ويتساوى الكل أمام سلطة الدنيا أو سلطة الآخرة..
سألني فتى عن أهم أحلامي؟
فقلت: أن أموت وأحلامي تنبض بالحياة، وتواجه التحدّي، وتنفخ روح الأمل في ضمائر البائسين واليائسين والمحبطين.
لا تـخَـفْ على حلمك متى كنت مخلصاً وصبوراً، لأن العالم حينئذٍ سيتآمر كله لتحقيق حلمك، كما قال «باولو كيليو» ذات مرة.
عندما سجّل الصبي المعدم حلم الطفولة أن يمتلك حقلاً وخيولاً ومضماراً؛ شطب المعلم على درجته، وحرمه من متعة الحلم.. كيف تحلم بهذا وأنت لا تمتلك قيمة الدفتر الذي تدون فيه حلمك، والذي كان هدية من جمعية خيرية! يعرض على تلميذه أن يعيد الامتحان؛ فيرد الصبي بكبرياء:
احتفظ بدرجتك، وسأحتفظ بحُلمي!
يا للعظمة! حين تتمثل موقفاً شامخاً يستعلي على الاستلاب، ويصرّ على المواصلة ليجد نفسه في نهاية المطاف حيث يحب!
إنه التحدي الذي يضطرك أحياناً إلى المضي قدماً في طريقك غير عابئ بسارقي الأحلام.
«احْـرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»؛ دعوة نبوية للتعاطي الجاد مع الفرص الإيجابية بروح المبادرة والإنجاز.
«وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»؛ فحين تربط حلمك بالله تمنحه أزلية وسرمدية؛ ليتحول من حلم فرد إلى أحلام أمة، من حلم دنيوي معزول إلى أفق فسيح ممتد إلى حيث الآخرة والعدل والقسط والفضل الرباني، في نعيم لم تـر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال.
«وَلاَ تَعْجِزْ»؛ وكيف يعجز من وقود روحه من جذوة الإيمان.
«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدر اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».
فالإيمان ليس جبرية عمياء، ولا استسلاماً ولا جحوداً للطاقة الإنسانية الهائلة، وليس بكاء على الأطلال، ولا جزعاً من تغيرات الأحوال، إنه اليقين بأن الخير حيث يضعك الله، وأنك كل يوم تنشئ حلماً جديداً، وأملاً جديداً، ونجاحاً جديداً.
وما لم تمتلك القدرة على الحلم، فلن تفعل شيئاً.
يـقـول «أيـنـشـتـايـن»: «الخـيـال أهـم من المعرفة».
عليك أن تحذر أن تدجّن حلمك؛ لتجعله صورة مشوهة مسكونة بتعرجات الواقع واعوجاجاته..
احلم دون قيود.. أطلق خيالك.. واصنع عـالـمك الافـتـراضـي الـذي سيـغـدو حقيقة ملموسة متى آمنت بها..
سوف نتفوق حينما نمتلك أحلاماً وردية بعدد شخوصنا، أو حينما يفلح أولئك الذين يمتلكون الأحلام الجميلة من الإمساك بناصية الحياة.
سوف نتفوق حينما يصبح الخطاب المتدين حافزاً للأحلام وليس رقيباً عليها.■

(*) رئيس مؤسسة الإسلام اليوم
والأمين العام لمنظمة النصرة العالمية

من الوفاء أن أبدأ مقالي هذا بذكر الشهداء الطاهرين، شهداء ثورة مصر البيضاء، وحين أذكرهم يتجاذبني شعوران متناقضان: الأول: شعور أب حزين على هذا الشباب الغض الجميل العظيم، الصغار سناً، الكبار نُبْلاً، الذين تمزّق القلب حزناً على فراقهم، هؤلاء الشباب الأبطال الأحرار.. الشهداء الذين قتلهم الإرهاب الحقيقي على أيدي المجرمين الكذابين الذين كثيراً ما أخافوا المصريين ووهموهم بأن المسلمين الملتزمين الأطهار هم الإرهابيون، وأنهم خطر على البلاد والعباد.



د. سمير يونس(*)
dr_samiryounos@hotmail.com

أجل.. شعوري الأول حزن على فراق أبنائي الشهداء.. أما الشعور الثاني المقابل، فيجسده احتسابهم شهداء لهم أجرهم عند ربهم ونورهم.. ترفرف أرواحهم في نعيم الجنة بإذنه سبحانه. أسأل الله لهم ذلك. وذكراهم باقية في ميدان الحرية، ومحفورة في قلوبنا ووجداننا، رحم الله شهداء مصر، وسائر شهداء المسلمين، وخلد الله ذكراهم، ورفع أقدارهم وألحقنا بهم، وقد نلنا هذا الشرف العظيم، نصر من الله، ونعيم في جنانه.

ومنهم من ينتظر

ما أروع قول ربنا عز وجل: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ (الأحزاب).

فإن كانت فئة من شباب مصر وأهلها الثوار قد قضت نحبها وارتقت إلى جنة ربها. بإذنه سبحانه. فإن كثيرين من أبناء أم الدنيا ينتظرون هذا الشرف، ويقفون مجاهدين مدافعين عن حبيبتهم ومعشوقتهم.

أم الدنيا معشوقة الجميع

لا عجب أن يعشقك أبناؤك يا أم الدنيا، برغم قسوة قلة منهم على الأغلبية، فقد عشقك كل عربي وكل مسلم وكل من عرفك، فها هو ذا الشاعر الفلسطيني «عبدالوهاب القطب» في قصيدته الرائعة «مصر أم الدنيا»، يتغزل في مصر فيقول:

أتيت إليك صباً مستهاماً
فضُمّي أضلعي ودعي الملاما
فما أحببت مثلك في حياتي
وكم جربت في الماضي غراما
فلا سأمٌ وأنت معي ألاقي
وكم لاقيتُ في أمس السآما
وكم من حلوة أبدتْ دلالاً
فمال القلب عنها ثم لاما
وكم من حُلوة غمزت بعين
فما أوليتُها مني اهتماما
طلعْت من النساء بليل عشقي
فكنت من النساء بدراً تماماً
فحُسنك ليس يوصف يا حياتي
وإن أبليتُ في الوصف الكلاما
فأنت حبيبتي مهما ابتعدنا
فلا تتوقعي مني خصاما

وعن تألمه وتوجعه لألم محبوبته مصر، ولبيان أهميتها للعرب ومكانتها، يقول:

فمن أدماك أدمانا كأنا
أمامك جُمَّدٌ نلقى السهاما
بدونك نحن أعراب ضياعٌ
نهيم بلا مجير كاليتامى

شعب عظيم

كم أنت عظيم أيها الشعب، هذا الشعب هو الذي تحوّل من هزيمة يونيو ١٩٦٧م إلى نصر أكتوبر ١٩٧٣م في ست سنوات فقط!!

الآن نرى هذا الشعب العظيم يسجل حدثاً جديداً عظيماً، حيث فاجأ نفسه وولاته وقادته والعالم أجمع، واستيقظ بعد أن ظن الناس أنه قد نام، وانتفض في شجاعة عجيبة مدهشة، يصفها الشاعر الفلسطيني مخاطباً مصر، فيقول:

ظننت بأن شعبك نام خوفاً
وها هو قد صحا والخوفُ ناما
فألف تحية أبطال مصر
مَلأتُم وجهَ أمتنا ابتساما
رجفتم كالجبال بكل عزم
وهبَّ الشعب فاقتلع الفسادا
كذلك حال من حكموا بهُزْء
وتلك نهاية ساءت مُقاما

نعم.. انتفض الشعب البطل في يوم واحد، ليخرج من كبته، وينبذ الظلم والفساد، ليزيل آثار الذل والقهر، فوقف يواجه بصدره الأعزل صلف الظلم والقهر، واجه الرصاص والقنابل المسيلة للدموع، كما واجه المكر الإعلامي، للمنافقين الإعلاميين، الذين هرموا ولم يتعظوا، ولم تجد لديهم جديداً سوى «البدَل» التي يلبسونها!! في التلفاز والصحف، الذين تطوعوا ليهونوا من شأن الشعب الثائر الشريف، ويصفوه بأقبح الألفاظ وينعتوه بأحط الصفات وأحقرها، ودافعوا عن الباطل بكل ما أوتوا من أساليب الكذب، ولا عجب فإنهم مرتزقة، وهم شرار الخلق، لأن الواحد منهم ذو وجهين، وقد حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من ذلك في قوله ﷺ: «شر الناس ذو الوجهين».

لقد صمد أبناء مصر في جسارة وجرأة تأخذ بالألباب، وإن تعجب فعجب أن تشاهد أناسيّ يضعون أنفسهم في جنازير الدبابات ليمنعوها من التقدم نحو ميدان الحرية، فإن أطلقت النار تجدهم يقبلون عليها لا يُدبرون عنها، ويُقدمون على «البلطجية»، ويهجمون عليهم برغم أنهم متمرسون على الإجرام، هجموا على المجرمين بكل بسالة، لمنعهم من تفريق الثوار، بل صمد الشعبُ الأصيل أمام الهجوم الشرس من المجرمين، برغم ارتقاء الشهداء، وسقوط الجرحى، فلم يزدهم ضرب المجرمين إلا ثباتاً وإقداماً!!

ولله درُّ الشاعر عبدالرحمن يوسف، حيث يجسد لنا ذلك في قوله:

اضرب فلسنا نخاف السوطَ والوجَعا
واضرب لأنك تبدو خائفاً فزعاً
الضربُ قشةُ قصم الدهر في بلدي
فاضرب فما كانت في ذي الأمر مبتدعا
واضرب برأسك حيطاناً وأعمدة
واضرب بظلمك أحزاباً ومجتمعا
الضرب بالكفِّ سهلٌ إن صبرت له
والضربُ بالحرف دَوماً يُورث الهلعا

(*) أستاذ المناهج وأساليب التربية الإسلامية المساعد

فاضرب بكفك طول الليل توأمها
حتى بَدَوْتَ كما فيمن أهله فجعا
الضرب بالصفع في أرضي مخاطرة
كم قد رأينا مراراً صافعاً صُفعاً
واضرب بليلك أخماساً لتسكننا
ترى النتيجة صوت الحق مرتفعا
كم مارسَ الضربَ قـوّادٌ وعاهرةٌ
كلاهما لصنوف العُهْر قَدْ رضعا
فاضرب دفوفك يا مغوار بلدتنا
ونم بنصرك طول الليل مُنْخَدِعاً
لا الضربُ يُجدي ولا الأجنادُ تُرهبنا
كم ضارب قد دفنّا بعدما قمعا!

روح الأسرة الواحدة

وإنك لتلحظ رقياً خلقياً مبهراً، مئات الآلاف من البشر. أو قل: ملايين أحياناً. ولا تسمع بحالة تحرش جنسي واحدة، ولا ترى مشاحنات طائفية، بعد أن أظهر الإعلام المأجور. أو الأحمق. هاتين القضيتين بصورة تسيء إلى مصر، تجد هذه الملايين يرفق بعضهم ببعض، ويحفظ بعضهم بعضاً، يؤثر بعضهم بعضاً، حتى شبههم العلامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي. في خطبة الجمعة بميدان التحرير. بالأنصار، لإيثار الواحد منهم غيره على نفسه، وذلك في الطعام والغطاء والشراب والمكان، الكل يتكافل ويتعاون ويتفاهم، يقترب بعضهم من بعض، وهذا التقارب الاجتماعي الأسري جعلهم لا يشعرون ببرد الشتاء، ولا انهمار الأمطار، ولا كيد الكائدين.

الفضاء المعلوماتي الاجتماعي

مَنْ كان يصدق أن ثورة كهذه تنطلق من فضاء معلوماتي، حيث خطط لها من خلال نوافذ الإنترنت، وأهمها الفيسبوك، والمدونات و«التويتر».. وبرغم ذلك، فقد انطلقت من هذا الفضاء المعلوماتي إلى الواقع كالصاروخ، بعد أن حددت التاريخ ٢٥ من يناير ٢٠١١م، والمكان ميدان التحرير، ثم سارت على نفس المنهاج في سائر محافظات المحروسة.

لا تنسوا فضل غزة

كل مَنْ تحدثوا عن ثورة مصر أكدوا أنها استفادت من ثورة تونس، لكن أحداً لم يذكر أن شباب الثورة استفادوا من حرب اليهود على غزة، حيث أسهمت التكنولوجيا .وخاصة الإنترنت. في نقل الصور الحقيقية البشعة التي مارسها اليهود مع أهل غزة، حيث قتلوا مئات الرجال والنساء والأطفال في مذبحة تاريخية وعدوان سافر، فلما



نقلت هذه الصور ليراها العالم امتلأ الناس بالسخط على «إسرائيل» وكراهية اليهود، وأسفر هذا الغضب وأثمر، حيث شاهدنا أساطيل الحرية التي زخرت بالمتطوعين من عشرات الجنسيات، الذين اندفعوا إلى مساعدة أهل غزة على كسر الحصار.

سلاح الصورة

يقول المثل الصيني: «رب صورة خير من ألف كتاب»، وحسبنا أن نتذكر. مثلاً. صورة «محمد الدرة» الذي أصابته رصاصات الغدر والقسوة، وأبوه يحتضنه ولا يملك أن يدفع عنه الرصاص، وكذلك كل الصور التي تبثها وسائل الإعلام لإجرام الظالمين، وهذا يجعلنا نقرر فعلاً أننا نعيش عصر «ثقافة الصور»، ومن هنا استطاع شباب مصر أن يُسمعوا العالم أصواتهم، لأنهم أتقنوا التواصل عبر شبكة الإنترنت، ثم انضم إليهم الشعب المصري بكل فئاته وتياراته الفكرية والسياسية، لينصهر الجميع في بوتقة واحدة تدعى «المصرية»، لذا كان «باراك أوباما» محللاً ثقافياً بارعاً لهذا الحدث الحضاري العظيم عندما قال: «هناك لحظات نادرة في حياتنا نتمكن فيها من مشاهدة التاريخ أثناء صياغته، وهذه إحدى هذه اللحظات، فالناس في مصر تحدثوا وصوتهم سُمع، ومصر لن تكون أبداً كما كانت».

ولقد تجلى الانتماء والمواطنة والولاء وعشق الوطن في سلوكيات متعددة، لعل أهمها حرص الناس وتضحياتهم من أجل الحفاظ على مؤسسات بلدهم، كما تجسد السلوك الحضاري الوجداني المفعم عندما قام هؤلاء الشباب بتنظيف ميدان التحرير، وقد شارك جميعهم وهم سعداء أيما سعادة، وبذلك استحقوا أن يكونوا معلمي العالم في هذا المضمار.

وصية لشبابنا

يا شباب مصر العظيم، لا ننكر فضلكم، ولا تضحياتكم، ولا ننكر أنكم حققتم ما لم يستطع غيركم أن يحققه، ولكني لاحظت على بعضكم عندما يتكلم كأنه معجب بنفسه، وأنه البطل المغوار الذي لا يشق له غبار، لذا أذكر أبنائي وبناتي من الشباب بتواضع رسول الله ﷺ عندما فتح مكة، حيث دخلها يركب دابته وهو مطأطئ الرأس تواضعاً، كما أرجو أن تنسبوا أي نجاح حققتموه إلى الله عز وجل، ولا يكن من بينكم من يسير على شاكلة قارون فيقول: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨).■

هل تبقّى شيء يُروى عن ثورة «الخامس والعشرين من يناير» المصرية؟ تفاصيل الثورة من الألف إلى الياء بثت لحظة بلحظة على شاشات الفضائيات العربية والعالمية ومواقع الإنترنت، أوقات التضحية والبسالة، الألم والإصرار، الفرح والانتصار، الملايين عاشوا ما يجري وكأنهم وسط الميدان.. فهل فعلاً تبقّى شيء لم يُروَ؟

ثورة التحرير.. خواطر مشارك

مشاعر يرويها: داود حسن

إجابتي: نعم، هناك الكثير.. مخزون عاطفي ونفسي، داخل إنسان عاش الثورة منذ يومها الأول، انطباعات ومشاعر لم ترصدها الكاميرا، خاصة إذا كانت تجربة لإنسان بسيط عاش أكثر من أسبوعين وسط بحر متلاطم من البشر، في مكان محدود المساحة، لكنه رحب الأفق، امتزجت فيه المعاني الإنسانية بين الموت والحياة.

لم تكن الثورة المصرية مجرد حلم بتغيير حاكم ظالم قمع الناس وجثم على صدورهم ثلاثة عقود، لكنها كانت ثورة على نظام حياة في الأخلاق والسياسة والاقتصاد والفنون، وإبداع نظام جديد، تغير فيه البشر في ساعات من أسوأ خلق الله إلى أطهرهم وأنقاهم.

ثورة بدون قائد

فلأول مرة في التاريخ المصري الحديث والمعاصر وربما في التاريخ المصري كله، تخرج ثورة بدون برنامج وبدون قائد، من رحم الضياع، ضياع عدة أجيال، لم يروا لهم حاضراً أو مستقبلاً، فالبطالة متفشية، والتعليم في أسوأ أحواله، والحالة السياسية تعاني الجمود والتشرذم، وكافة منافذ التغيير السلمي مغلقة على حفنة من الفاسدين، والمجتمع تقطعه أمراض الفقر والعوز والفتن الطائفية، والجريمة والفساد وصل إلى الحلقوم، وضرب كافة مفاصل الدولة، ولم يكن أمام الناس ملجأ إلا الانتحار أو ترك البلد والمغامرة بالهروب في مراكب الموت إلى أوروبا، أو الاستسلام للوضع السائد وانتظار الموت، والإصابة بحالة من البلادة الفكرية وفقدان الأمل في أي شيء، لا بديل غير ذلك.

فجاءت الثورة وكأنها البلسم الذي أزاح من على صدور المصريين كل أدران الحياة، وخطا بالبلاد والعباد أكثر من نصف قرن للأمام.

في الثورة اكتشف المصريون كم هم شعب عظيم.. عظيم بتماسكه وبإعادة اكتشاف نفسه من جديد.

هذه السطور تكشف ماذا كسب المصريون من تلك الثورة الطيبة:

المرض الطائفي نموذجاً

قبل الثورة بأيام، كانت هناك حالة من التشنج الطائفي بين الأقباط، خاصة بعد عدة حوادث استهدفت كنائس، وكان آخرها حادث تفجير كنيسة «القديسين» بالإسكندرية، والتي اتهمت وزارة الداخلية جماعة «جند الإسلام» بأنها وراء هذه العملية، إضافة إلى وجود شريحة من الأقباط يقودهم البابا «شنودة» بنفسه تطالب بحقوق مزعومة للأقباط، ويضغطون على المسؤولين بالدولة، وكانت الدولة تخضع لمطالبهم باستسلام تام؛ مما أدى إلى حالة من الاحتقان الطائفي الذي بلغ مرحلة الخطورة.

فجاءت الثورة وأنهت هذا الأمر جملة وتفصيلاً، لذلك كان البابا «شنودة» أكثر الناس حزناً على رحيل الرئيس «مبارك» وانهيار نظامه؛ لأن الثورة قضت على المشروع السياسي والديني الطائفي للرجل، والذي كان يخطط له منذ اعتلائه عرش الكنيسة الأرثوذكسية قبل نحو أربعين عاماً، حيث ظل يعمل على أن يكون الأقباط شريحة معزولة عن المجتمع المصري، وأن يكون هو الممثل الديني والسياسي الوحيد للمسيحيين في مصر، فيما أطلق عليه بالشعب القبطي.

لكن الثورة نجحت في تذويب الفوارق التي بناها البابا «شنودة» بين المسلمين والمسيحيين، ظهر ذلك في تحدي مئات الشباب القبطي لتعليمات البابا بعدم تأييد الثورة والخروج على الرئيس «مبارك» ونظامه، وشاركوا بكثافة في فعاليات الثورة معتصمين ومتظاهرين، ومرددين نفس الشعارات، فحصل اندماج تام بين الشباب المصري المسلم والمسيحي، وكانت الصورة في أجمل حالاتها للحوارات واللقاءات بين شيوخ أزهر وبين الشباب القبطي في مختلف أنحاء «ميدان التحرير».



معدن نفيس

أجمل ما حملته الثورة للمصريين أنهم تعرفوا على أنفسهم من جديد، فقد كشفت عن معدن نفيس كانت تخفيه مظالم تراكمت ثلاثة عقود من الاستبداد، وقد كانت أجهزة الإعلام تروج باستمرار أن الشباب ضائع ما بين أفلام «البورنو» الإباحية والحديث عن جرائم التحرش الجنسي والمخدرات، وأنه يعيش على صفحات الإنترنت دون هدف محدد، لكن هذا الشباب الضائع كان هو المحرك الأساسي للثورة، وكانت كل النقائص التي يوصف بها هي وقود معركة الثورة، وتغير الشباب والشعب بين ليلة وضحاها إلى شباب وشعب غير الشعب، سلوكيات مختلفة وأداء



وحيوية في كل مناحي الحياة.

فعلى مدى أيام الثورة كنت أراقب بدقة مدى تعامل الشباب من مختلف مشاربهم مع بعضهم بعضاً، بل مع الشابات غير المحجبات واللائي كن يرتدين ملابس غير محتشمة، كنت أرى العفة في قلوب وتعاملات هؤلاء الشباب، فلم ألحظ أقل ما يخدش حياء إحداهن، حتى في تلاطم أمواج المظاهرات، كانت هناك عفة، قال أحدهم: إنني كنت من قبل أنظر للنساء الجميلات، لكن خوفي على الثورة، جعلني أعرض عن هذا الأمر خشية أن تؤثر تلك المعصية على الثورة.

الأربعاء الدامي

قال لي أحد الأطباء المسؤولين عن المستشفى الميداني في ميدان التحرير ليلة الأربعاء الدامي الذي اقتحمت الميدان فيه الجمال والخيول والبغال المؤيدة للرئيس «مبارك»، قال: إنه كان يأتيه الشباب المصاب فيتم عمل إسعافات أولية لهم، وبعد ساعة أو اثنتين يعودون مصابين في مناطق أخرى من جسدهم، بسبب المواجهات العنيفة مع الشرطة السرية والبلطجية.

وسمعت الشيخ «صفوت حجازي» وهو أحد قيادات الشباب للمظاهرات يقول: إنه عندما حمي الوطيس في تلك المعركة، سأله أحد الشباب صغير السن: ما مصير من يموت في الميدان وهو يواجه البلطجية؟ فقال له: سيكون شهيداً، فما كان من ذلك الشاب إلا أن هجم على أحد راكبي الخيول من البلطجية وأسقطه أرضاً، وفي خلال خمس دقائق أصيب هذا الشاب في رأسه بطلقة قناص، وكم كان المشهد وروايته مؤثراً في جموع المستمعين.

ليلة عصيبة

من أجمل الصور أنه في تلك الليلة العصيبة، كنا أقل الأيام عدداً وأكثرها برودة وتعباً، وكان أكثرنا يحاول الحصول على قسط من الراحة، فكانت السيدات والفتيات الفضليات محجبات وغير محجبات ومنقبات يمرون في ساعات الليل المتأخرة يطلقون الشعارات، «مصر بلدنا فيها رجالة، حي على الجهاد»، حتى طلوع الفجر، هؤلاء النسوة رغم ضعفهن إلا أنهن تركن منازلهن وجئن يبتن وسط الرجال مع ذويهن، وشعارهن «تغيير النظام أو الشهادة».

لم يكن ميدان التحرير ساحة للوغى والاحتجاج، لكنه كان ميداناً للفرح والاستبشار؛ فقد كانت هناك طلبات لعقد قران وصلت إلى مائة وسبعين حالة، كنت شاهداً على إحداها، جاء العريس والعروس والأهل وكانت الأسرتان معتصمتين في الميدان، وفي اليوم الأخير قرروا تزويج المخطوبين، وكم كانت فرحة عارمة.

ميدان التحرير كشف عن وجود خميرة هائلة من الإبداع والتألق عند المصريين، ويكفي أن تشاهد الفن والإبداع في صياغة لافتات التنديد بـ«حسني مبارك»، أو تسمع الهتافات والغناء الثوري والفلكلوري، كم هي رائعة وعبقرية، ولابد أن تتساءل: من أين جاء كل ذلك؟ ولم يتوقف الإبداع والحراك عند السياسة، بل امتد إلى الشارع، وإلى معاملات الناس، وسلوكهم، لقد شعر المصريون أنهم شعب واحد وجسد واحد.

من أهم المعاني التي اكتشفها المصريون، أن عصا النظام الغليظة المتمثلة في أكثر من مليون وثلاثمائة ألف جندي أمن مركزي وجحافل من الأمن أشبه ببيت العنكبوت، سرعان ما تنهار مع أول مواجهة، وقد رأيت بأم عيني عشرات الشباب الذي ضحى بنفسه من أجل الوصول إلى ميدان التحرير، ورأيت على كوبري «قصر النيل» كيف أن الشباب هجم على الجنود وانتزع منهم البنادق وقاذفات القنابل المسيلة للدموع، ويلقيها في النيل، لم يوجه أحد من الشباب حتى مجرد لكمات للجنود والضباط، وحتى عندما قبض الشباب على لواء شرطة كان قائداً لعملية قمع التظاهرة الضخمة في الجيزة حموه ورفضوا إيذاءه.

أبرز السمات

لقد كان إنكار الذات والذوبان في حب الوطن أبرز سمات ثورة ميدان التحرير، لم يرفع فصيل سياسي مصري رايته، ولم يطلق شعاراته، ولم يدّع أحد أنه قائد الثورة، لقد رأيت سيدة يبدوَ عليها الوقار في منتصف الأربعينيات، تكنس الشارع أمام مجمع التحرير، وإذ ببعض البنات يقبِلن عليها ويحيينها باسمها مسبوقاً بلفظ دكتورة، فاقتربت من إحداهن، وسألتها: من هي الدكتورة؟ فأوضحن أنها أستاذة في كلية طب «قصر العيني».. إلى هذا الحد وصل المصريون في حبهم لبلدهم وإنكارهم لذاتهم.. لذلك كنت تشعر وأنت في ميدان التحرير بروحانيات وكأنك في الحج، وعند الالتحام بالبلطجية وقوات الشرطة وكأن الملائكة تحارب معك.

مشاهد الثورة وتجلياتها تحتاج لحلقات، فلدى كل واحد من الملايين الذين نزلوا الشارع أجمل الذكريات، وهذه السطور مجرد خواطر.■

لا توجد أي إمكانية لمعرفة متى سينفجر الموقف، فهذا ليس «يوم الغفران» لأجهزة المخابرات في العالم، وذلك لأن الثوار أنفسهم لم يكونوا يعرفون أنهم يقفون أمام الثورة.. لم تكن هناك وثائق سرية في الخزائن، ولا خطط نجحوا في إخفائها عن أعين الإعلام والعالم، هذا ببساطة ما حدث.. ثورة مثل البركان الهادئ، الذي حتى لحظة انفجاره يشكل جزءاً جميلاً من المشهد الرائع.

عندما حانت لحظة الحقيقة.. دفع «أوباما» بـ«مبارك» إلى الهاوية

يوسي بيلين (*)

ترجمة: جمال خطاب

كنا نعرف دائماً أنه إذا لم تتحقق تغييرات مهمة في هذه الأنظمة المتسلطة، فسيأتي يوم يثور الجمهور، قد تكون حادثة طريق، مثل تلك التي أشعلت الانتفاضة في فلسطين.. ويُحتمل أن تكون شاباً عاطلاً عن العمل يحرق نفسه كما حدث في تونس.

كان الحديث يدور دوماً عن حدث ليس «دراماتيكياً» بالضرورة، ولكنه القشة التي تقصم ظهر البعير وتثير الجماهير، وتجلبهم إلى الميدان الذي قد يقعون فيه مصابين أو قتلى.. هذه هي اللحظة التي يتوصلون فيها إلى الاستنتاج بأنه ليس لديهم ما يخسرونه.

النموذج الأفضل

يجب أن تستمر المطالبة بالتحول الديمقراطي، وإن كان من المشكوك فيه للأنظمة المطلقة أن تستجيب لها، فهي سترى دوماً أن التخلي عن صلاحياتها يُعتبر نوعاً من الاستسلام، وهي تفهم أنه لن يُرضي الجماهير أي تنازل، ومعظم الزعماء سيفضلون أن يقيموا دولاً شرطية متسلطة إلى أن يسقطوا.. وعليه، فالسؤال هو: متى ستتآزر وتتعاون الجماهير وتتحلى بالشجاعة التي تدفعهم للثورة، وليس متى سيفهم الزعماء أن عليهم أن يتنازلوا؟

والصين هي النموذج الأفضل، بل والأكبر.. فكم من الوقت كان يمكن الإبقاء على ١,٤ مليار نسمة في إطار مصطنع جداً، مع قيود شديدة على الحريات الشخصية، في وضع يكون فيه المواطنون متعلمين ويطّلعون أكثر فأكثر على وسائل الإعلام العالمية؟

إذا لم يُسمح للأحزاب المختلفة بالمنافسة على قلب الناخب الصيني، وإذا لم تُمنح حرية تعبير حقيقية، ويستمر زج الحاصلين على جائزة «نوبل» للسلام في السجون، فستأتي اللحظة التي تأتي فيها الجماهير إلى الميدان.. وفي اللحظة التي تتماثل فيها قوات الأمن مع المتظاهرين وليس مع من يرسلهم لقمعها، سيتغير النظام.. هذا يمكن أن يحدث اليوم، أو بعد ست سنوات، ولكنه لن يتأخر عشرات السنين، وعندما يحصل فإن هذا لن يكون يوم غفران آخر للمخابرات، لأنه لن يكون ممكناً معرفة ذلك مسبقاً.

ساهم عصر «تويتر» و«فيسبوك» حتماً في خلق اتصال بين الثوار.. لكن الثورة تصنع في الشارع وليس على شبكة الإنترنت

سيساهم عصر «تويتر» و«فيسبوك» حتماً في خلق اتصال بين الثوار، ولكن الثورة تُصنع في الشارع وليس على شبكة الإنترنت، فعشرة ملايين مشارك في الصفحة لن يحلوا محل مائة ألف نسمة في الميدان، ممن يكونون مستعدين لكشف وجوههم، لرفع اللافتات والتعرض للضربات.. صحيح أن الحاكم المستبد مقتنع بأن المواطنين أدوات في يديه، يهتفون لكل شعار هراء له ويصرخون باسمه، لكن خوفه منهم شديد.

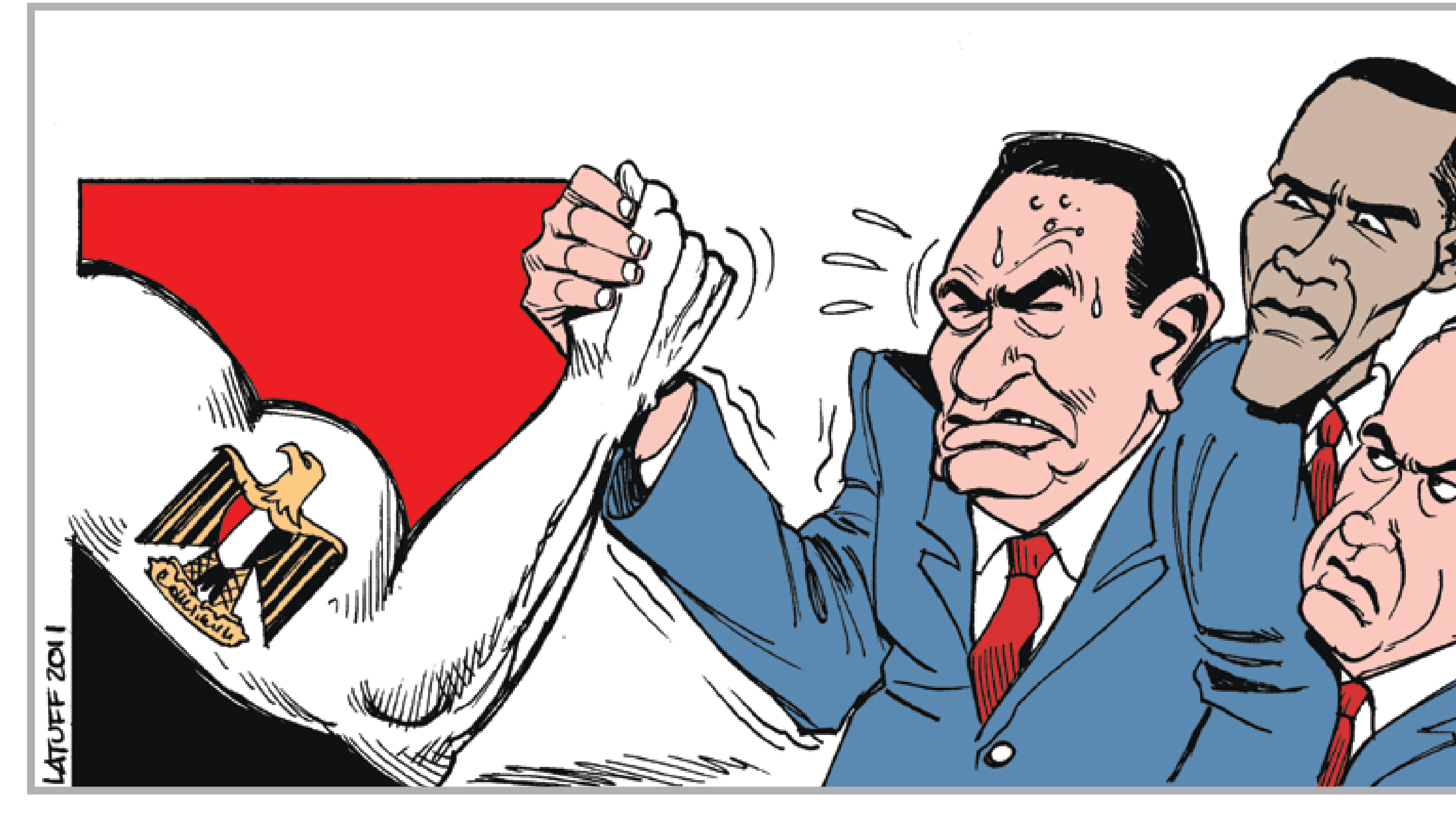
قد يظل الميدان فارغاً أعواماً طويلة لكنه عندما يمتلئ يكون الغضب القاسم المشترك الأكبر فيه.. وعندها تبرز المطالبة بشيء واحد.. «رأس الرئيس»

والناس للوهلة الأولى، دون سبب واضح، كفيلون بتغيير أذواقهم مهما كان الحكم الجديد، على ألا يبقى الحكم القائم.. «لقد تعبتُ ومستعد للرحيل، ولكن عليَّ أن أبقى لزمن قصير آخر كي أضمن ألا تقع هنا الفوضى»، يقولها الحاكم المرشح للتنحية، وهو يؤمن بذلك من كل قلبه، ولم يعد يفهم أن أقواله تُسمع كنكتة سخيفة في آذان الجماهير.. الميدان يمكن أن يظل فارغاً لسنوات وسنوات، ولكنه عندما يمتلئ يكون الغضب هو القاسم المشترك الأكبر فيه، وعندها فإنه يطالب بشيء واحد.. «رأس الرئيس».

السيطرة الذكية على أجهزة الأمن لا تكفي وحدها لضمان السيطرة على الشارع، والاختبار الحقيقي ليس الأجهزة بل من يستخدمها، والمستخدم لا يكون في أي حال الحاكم نفسه، بل دوماً الأشخاص الهادئين الذين لا يعرف أسماء معظمهم، ممن يؤدون التحية له باستسلام، ويفتحون له باب السيارة المحصنة، ويهمسون في أذنه بسر استخباري.

وهو يرغب بأن يرى فيهم مخلصين

(*) صحيفة «إسرائيل اليوم» العِبْرية، ١١/٢/٢٠١١م



له في كل لحظة وفي كل ظرف، وسيفاجأ دائماً بأنهم ليسوا رجالاً آليين.. وفي نهاية الدوام الرسمي، لن يقوم هؤلاء الأشخاص باستخدام الأجهزة المسؤولين عنها، إذا ما قرروا أنه لا مبرر لذلك أو أن الحديث يدور عن تمسك مجنون بالسلطة، وسيكشفون وجوههم الحقيقية، وسيكونون هم الذين يقصرون ساعات الرجل الذي خدموه لسنوات طويلة.

لحظة الحقيقة

عندما يُسأل قادة الإخوان المسلمين عن اتفاق السلام مع «إسرائيل»، سيجيب معظمهم بأنهم سيحترمون كل تعهدات مصر، بما في ذلك اتفاق السلام.. وتُظهر عدسة الكاميرا كم هو صعب عليهم قول هذا، ولكن الواضح أنهم إذا كانوا معنيين بشرعية دولية فلا مفر أمامهم.. فالإخوان المسلمون شجبوا الاتفاق مع «إسرائيل»، ولو كان الأمر منوطاً بهم لما وقع أبداً، ولكن قوة الاتفاق الموقع شديدة جداً.

من يؤمن بأن اتفاقات السلام مع جيراننا هي مصلحة «إسرائيلية»، فإن عليه أن يبذل جهداً كبيراً كي يوقع على مثل هذا الاتفاق في اللحظة التي يكون فيها الطرف الآخر مستعداً لذلك، دون أن يطلب ضمانات لتنفيذ الاتفاق حتى في وضع تغيير الحكم.. حتى لو

عندما أدركت إدارة «أوباما» أن «مبارك» فقدَ تأييد شعبه دفعته إلى الحائط وطلبت منه أن يضع حدّاً لتمسّكه بمنصبه

كانت الحجة أن «محمود عباس» ليس زعيماً قوياً حجة محقة، وحتى لو كان صحيحاً أنه لا يعبر عن رأي قسم من الفلسطينيين فإن اتفاقاً موقعاً معه كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية أمام العالم بأسره، سيضمن بقدر كبير أن يُحترم الاتفاق، حتى إذا وقع الحكم في أيدي عناصر لم تكن أبداً لتوقع بمبادرتها وبملء إرادتها على مثل هذا الاتفاق.

أحياناً قد تؤدي علاقات الثقة بين الزعماء إلى قرارات مهمة لدولهم، ولكن في لحظة الحقيقة تؤدي هذه العلاقات دوراً ثانوياً.. فعندما قدرت إدارة «أوباما» أن «مبارك» فقدَ تأييد شعبه، لم تعد مستعدة لأن تذكر له فضائله السابقة؛ مثل: تأييد الولايات المتحدة في حرب الخليج، والسياسة المؤيدة للغرب، والحفاظ على اتفاق السلام مع «إسرائيل».

وفي لحظة الحقيقة، كان على «مبارك» أن يُثبت لـ«أوباما» أن الحفاظ على حكمه ممكن، وإن في ذلك أهمية إستراتيجية للولايات المتحدة.. ولما لم يفعل ذلك، دفعه «أوباما» إلى الحائط وطلب منه أن يضع حداً لتمسكه بمنصبه، وفجأة تحولت مشاهد زياراته إلى الولايات المتحدة كصور من عوالم بعيدة!

استعادة الحريات

هناك أناس بطبيعة معتدلة، وهناك من هم قليلو الصبر شديدو الغضب، ويُحتمل أن يكون للطابع القومي تأثير على ذلك.. ولكن لا يوجد أناس لا يمكن إخراجهم من هدوئهم، ولا يوجد أناس يسلمون بمنع حرياتهم إلى الأبد، لاسيما حين يكونون على علم بأن آخرين في العالم غير مقيدين بالقيود المفروضة عليهم.

التفسير الوارد الذي يقول: إن المصريين مستعدون للتسليم بكل نظام كان تفسيراً سخيفاً، مثله مثل كل محاولة أخرى للتنبؤ بتسليم كل شعب بالنظام في بلاده.. أحياناً يدور الحديث عن أنظمة وحشية تهديدها أكبر، وتنجح في ردع شعوبها على مدى زمن أطول، وأحياناً أخرى يدور الحديث عن جمهور عانى لسنوات طويلة ولا يسارع إلى التمرد ودفع الثمن.. ولكن في نهاية المطاف، الناس يريدون أن يحرروا أنفسهم من السجون، بما في ذلك أكثر السجناء انضباطاً!■

تخيّل مصر وهي تعارض الغرب بإصرار ودأب في المحافل الدولية.. تخيّل مصر وهي تشن حملاتها بإصرار وبلا هوادة ضد «إسرائيل».. تخيّل حكومة مصرية يشن إعلامها حملاته على «إسرائيل» دون أن يأبه بتهمة «معاداة السامية»، وتجمّد أو تقطع العلاقات مع «إسرائيل»، وترفض علناً «التدخل» في شؤونها من جانب الولايات المتحدة، ويسمح نظامها لحركة «حماس» بإدخال أطنان من الذخائر والصواريخ إلى قطاع غزة.

تدق آخر مسمار في نعش الأنظمة الدكتاتورية

تحوّلات جذرية ستؤدّي إليها الثورة المصرية

جاكسون ديهل (*)

ترجمة: جمال خطاب

لن تكون هذه - بكل تأكيد - هي الحكومة المصرية في ظل نظام الرئيس السابق «حسني مبارك»، التي دعمتها الولايات المتحدة بعشرات المليارات من الدولارات على شكل مساعدات، على حساب تشويه صورة أمريكا بين الديمقراطيين وجيل الشباب الذي أصيب بالإحباط في جميع أنحاء الشرق الأوسط جراء السياسة الأمريكية.

إذا كانت مصر الآن تتجه نحو الانتقال إلى الديمقراطية الحقيقية، فإن سياستها الخارجية لن تعجب الإدارة الأمريكية، ولكنها من وجهة نظري لن تكون شديدة السوء.

والواقع أن التكهنات القائمة عن تعاظُم قوة الإسلاميين أو فقدان نفوذ الولايات المتحدة يتجاهل الكثير من طبيعة ومعطيات الثورة المصرية.. فكما هي الحال في آسيا وأمريكا اللاتينية بعد التحولات نحو الديمقراطية، فإن الولايات المتحدة ستكسب أكثر مما تفقد من انتشار الحرية في الشرق الأوسط في النهاية، ومن غير المرجح أن تزداد سوءاً.

وستكشف الجرائم التي ارتكبها نظام «مبارك» على مدار ثلاثين عاماً حجم المساعدات العسكرية المشروطة من قِبَل الولايات المتحدة وتسامحها مع الاستبداد، وقد كان هذا هو الثمن الذي لا مفر منه لاستمرار معاهدة السلام مع «إسرائيل»، وموقفها من «حماس» و«دعمها» لعملية السلام في الشرق الأوسط.

سلام بارد

والحقيقة أن «مبارك» حافظ على سلام بارد مع «إسرائيل»، التي زارها مرة واحدة في تسعة وعشرين عاماً؛ لأنه رأى أن فيه مصلحة حيوية لمصر.. فالبلد لم تكن له مطامع إقليمية ولا دافع للذهاب إلى أي حرب مع جارتها، وقواته العسكرية أقل قدرة من أي وقت مضى على تحدّي الجيش «الإسرائيلي» في القرن الحادي والعشرين.

الحكومة الديمقراطية القادمة لن تكون لها علاقات ودية مع «الدولة اليهودية»، لكنها لن تلغي معاهدة السلام، وإذا سمحت لحركة «حماس» بتهريب أسلحة أو فتحت الحدود إلى قطاع غزة، فسوف تكون مختلفة بدرجة كبيرة - إن لم تكن مختلفة بالكامل - عن «مبارك».

في مصر الديمقراطية ستتحمّل الحكومة «المنتخَبة» مسؤوليتها عن سياساتها وتنفيذها لوعودها.. وتلك هي الفائدة الأولى

إذا كانت مصر تتحوّل الآن إلى ديمقراطية حقيقية فإن سياستها الخارجية لن تكون شديدة السوء.. لكنها قد لا تُعجب الإدارة الأمريكية

أما بالنسبة لعملية السلام، فسيرث النظام أو الحكومة الجديدة وعوداً معطلة في معظمها من الرئيس «مبارك» للولايات المتحدة.. ففي السنوات الأخيرة، أقسمت مصر الرسمية - مصر «مبارك» - على منع سيطرة «حماس» على غزة، ووقف عمليات تهريب الأسلحة عبر الأنفاق، وترتيب مصالحة بين «حماس» والسلطة الفلسطينية، والتوصل إلى اتفاق لإطلاق سراح «جلعاد شاليط» الجندي «الإسرائيلي» الذي تحتجزه «حماس»، لكنها لم تنجز أي شيء من هذا.

نهاية حقبة

ولذلك، فإن الفائدة الأولى لمصر الديمقراطية ستكون تحمّل الحكومة الجديدة «المنتخَبة» للمسؤولية عن سياساتها وإنفاذها لوعودها، بدلاً من إلقاء اللوم ضمنياً على الولايات المتحدة، واستبعاد الرشاوى غير المجدية لها من جانب «واشنطن».. وسيكون عليها أن تدافع عن سياساتها أمام شعبها، وهذا يعني - على سبيل المثال - أنه سيكون لديها حافز للتحقق، بدلاً من الترويج لدعاية «معادية للسامية».

والفائدة الثانية: هي نهاية الحقبة التي يُنحَى فيها باللائمة على الإدارات الأمريكية من قِبَل وسائل الإعلام العربية والكثير من الجمهور عن التعذيب والرقابة ووسائل القمع الأخرى.. وهذا لم يشعل ويثر فقط العداء للولايات المتحدة في المنطقة، ولكنه أيضاً شكل الدافع الأبرز «للإرهابيين» مثل «أيمن الظواهري» المصري، وهو الرجل الثاني في

(*) صحيفة «واشنطن بوست»، ١٤/٢/٢٠١١م



تنظيم «القاعدة».

السياسات الأمريكية

لقد اعتادت الولايات المتحدة أن تتهم وتلطخ غيرها بجرائم الدكتاتوريات؛ في البرازيل وإندونيسيا وكوريا الجنوبية، وحتى تركيا أيضاً.. وجميع هذه البلدان الآن انتقلت إلى الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان في الغالب، ومازالت لديها علاقات ودية مع الولايات المتحدة.

صحيحٌ أن بعض اللوم يُوجَّه إلى واشنطن وسياساتها، وفي بعض الأحيان يكون العمل معهم صعباً، وفي التصويت في «مجلس الأمن» الدولي يأخذون اتجاهاً معارضاً أو مناقضاً للولايات المتحدة الأمريكية، لكنهم يتفقون مع السياسات الأمريكية، ويعلنون أنهم أعداء لما يسمونه بـ«الإرهاب».. ومصر الديمقراطية من الأرجح أن يكون مسارها مغايراً لمسار إيران غير الديمقراطية أو فنزويلا.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن أن أكبر الخاسرين من التحول الذي جرى في مصر هو المرشد الأعلى الإيراني «علي خامنئي» وأتباع طهران في سورية ولبنان.

الحكومة الديمقراطية القادمة لن تقيم علاقات ودّية مع «الدولة اليهودية» لكنها لن تلغي معاهدة السلام

التكهّنات القائمة عن تعاظُم قوة الإسلاميين أو فقدان النفوذ الأمريكي يتجاهل الكثير من طبيعة ومعطيات الثورة المصرية

ستكشف جرائم نظام «مبارك» على مدار ثلاثين عاماً حجم مساعدات «واشنطن» المشروطة ومدى تسامحها مع الاستبداد

إن تحوُّل مصر نحو الديمقراطية سوف يدق آخر مسمار في نعش النموذج الدكتاتوري للإدارات القومية العربية الاستبدادية، بعد نحو ستين عاماً من إنشائه في القاهرة.

فإلى متى سيمكن لنظام «بشار الأسد» في سورية - ذلك النظام المبني على نموذج الرئيس المصري الأسبق «جمال عبدالناصر» - البقاء على قيد الحياة في عالم عربي جديد يولي وجهه شطر الديمقراطية؟ وكيف سيتفاعل الإيرانيون - الذين قمعوا ثورة شعبية في عام ٢٠٠٩م - بعد انتصار الثورة الشعبية في القاهرة؟

وأخيراً، فإن بعضهم في واشنطن يعبِّر عن خشيته من أن مصر سوف تتبع مسار إيران الثورية.. قد تكون هناك فرصة لذلك، ويتم فعلاً خطف الثورات في بعض الأحيان، كما أن الانحدار إلى الاستبداد ممكن، والشاهد «أوكرانيا» بعد سبع سنوات من «الثورة البرتقالية».

لكن تاريخ الشرق الأوسط والعالم يشير إلى أن المد سيتخذ طريقاً أخرى، وسوف تتحول مصر إلى الديمقراطية في نهاية المطاف، وستقوم بتحويل منطقتها كذلك، والولايات المتحدة ستكون هي المستفيد الأكبر.■

يفترض بعض المحللين - دون جزم بصحة افتراضهم - أن بابا الأقباط في مصر كان قد أوصى أتباع كنيسته بعدم الاشتراك في مظاهرات ٢٥ يناير.. ولما تأكد له أن التوجّه العام لشباب هذه المظاهرات ليس إسلامياً، وإنما هو توجّه «علماني ليبرالي» فإنه - إن لم يكن قد حث الأقباط سراً - على الاشتراك في المظاهرات، فإنه غض الطرف على الأقل عن اشتراكهم ورفعهم للصليب فيها، ولم يُصدر مجرد بيان يُعرب فيه عن عدم ارتياحه لهذا الوجود القبطي في تلك المظاهرات.

الإسلاميون.. ومستقبل «الأقباط» في مصر بعد سقوط نظام «مبارك»

د. أحمد إبراهيم خضر (*)

ويرى المحللون - على سبيل الافتراض أيضاً - أن البابا «شنودة» يكون بذلك قد أمسك العصا من الوسط، فإذا بقي النظام يكون البابا قد أخذ موقفاً إيجابياً في مساندة النظام يُحسب له، ويحصل به على المزيد من المكتسبات لصالح الكنيسة القبطية، وإن سقط النظام فإنه باشتراك الأقباط في هذه التظاهرات يكون قد أوجد له موقع قدم عند الشباب، وعند النظام الجديد، وقد تُغفر له تصريحاته القديمة بعد اشتراك الأقباط في التظاهرات.

تأكد للبابا، وللكنيسة، ولمفكري الأقباط أن الاتجاه العام للتظاهرات هو اتجاه «علماني ليبرالي»، رغم ظهور الشيوخ من ذوي العمائم الحمراء، وقيامهم بإمامة شعائر صلاة الجمعة، وقيام المتظاهرين من المسلمين بأداء الصلوات في وقتها في ميدان التحرير.

من هنا، يقول بعض المحللين من الأقباط ما نصه: إن «ما يحدث الآن في مصر يتجاوز حدودها، فالشباب المتظاهر لا يطلب أمناً اجتماعياً فقط، إنما يطلب إسلاماً مختلفاً، إنهم يطلبون فصلاً واضحاً بين الدين والسياسة، وهم كما يرفضون دكتاتورية العسكر يرفضون كذلك قيام دولة إسلامية، إنهم يريدون الحرية، ويطلبون دولة مدنية، وإذا نجحت مصر في ذلك فلا شك أن المنطقة العربية كلها سوف تتبعها».

(*) دكتوراه في علم الاجتماع العسكري - أستاذ مشارك في جامعات عربية وإسلامية

ويضيفون: إنه «كان واضحاً في هذه التظاهرات تهميش الشباب الثائر للإسلاميين، وقلة نفوذ الإسلاميين فيها بأكثر مما كنا نتصور.. وبات واضحاً أن شبح الإسلاميين والدولة الإسلامية الذي كان يهدد به النظام الولايات المتحدة للحصول على المزيد من الامتيازات الاقتصادية لم يكن إلا شَرَكاً وقع فيه الأمريكيون، وليس أمراً حقيقياً».

اتجاهان أساسيان

وقد حاول محللون أقباط آخرون وضع النقاط فوق الحروف عند تشريحهم لانتفاضة الشباب في ٢٥ يناير؛ فيقولون: إنه «من المحتمل أن تأخذ هذه الانتفاضة الشبابية اتجاهين أساسيين: إما سيادة قيم الحرية والليبرالية، وإما اختطاف الإسلاميين لهذه الانتفاضة وتأسيس دولة «ثيوقراطية»، ومستقبل الشرق الأوسط يتوقف على سيادة أحد هذين الاتجاهين».

ويرى هؤلاء المحللون - من وجهة نظرهم - أن ثورة الشباب قد وجّهت عدة ضربات للإسلاميين، برزت على النحو التالي:

- الوحدة غير المسبوقة بين المسلمين والنصارى، وقيام النصارى بأداء «قدّاس الأحد» تحت حماية المتظاهرين.
- رفض المتظاهرين رفع أي شعار إسلامي، ومنعهم رفع أي راية من رايات الإسلاميين، رغم رفع النصارى للصليب أثناء هذه التظاهرات.
- أن قيم الحرية هي التي ألهمت الشباب القيام بهذه الثورة، ولهذا فإنه من غير المحتمل قبولهم لقيام دولة إسلامية تحد من حرياتهم.
- أن المنطق الذي استخدمه الإسلاميون لتشويه صورة الولايات المتحدة و«إسرائيل» بالقول: إنهما وراء كل مشكلات مصر، وإنهما قد مَوَّلتا هذه المظاهرات قد فقد مصداقيته.
- أن تأخر الإسلاميين في المشاركة في هذه التظاهرات منذ بدايتها قد أفقدهم مصداقيتهم في الشارع المصري أيضاً.

هذه هي الجوانب التي تصور المحللون الأقباط أنها جوانب إيجابية تمثل ضربة شديدة للإسلاميين.

اختطاف الثورة

وعلى الرغم من ذلك، فإن هؤلاء المحللين يخشون اختطاف الإسلاميين لهذه الثورة الشبابية،



لما تأكّد البابا «شنودة» أن التوجّه العام لشباب الثورة ليس إسلامياً غض الطرف عن اشتراك الأقباط فيها



وحدة غير مسبوقة بين المسلمين والنصارى الذين قاموا بأداء «قدّاس الأحد» تحت حماية المتظاهرين

كان لافتاً أن الثائرين لم يرفعوا أي شعارات إسلامية.. رغم رفع النصارى للصليب أثناء المظاهرات

ويبنون خشيتهم هذه على الاحتمالات الآتية:

– قيام أزمة اقتصادية في مصر نتيجة لانهيار قطاع السياحة.

– المقولات المتناقضة التي أطلقها الأمريكيون أثناء الثورة، فهم كانوا يقترحون بقاء الرئيس تارة، وتارة أخرى كانوا يطالبون بانتقال هادئ للسلطة.. ومن شأن هذا الموقف غير الواضح أن يتسبب في إيجاد فجوة بين المصريين والولايات المتحدة قد يستغرق سدها وقتاً طويلاً.

– أن تأخر موقف الجيش المصري في إعلان تأييده الشباب، قد يجعل هذا الشباب يعتقد أن الجيش يؤيد شخصاً واحداً على حساب عموم الأمة، ومن ثم يجعل المصريين غير واثقين من التعامل مع الجيش في المستقبل.

– أن طلب الولايات المتحدة الإنهاء الفوري لحالة الطوارئ في مصر سوف يتيح الفرصة للجهاديين من الاستفادة من هذا الوضع المضطرب، مما يزيد من حدة الأزمة في مصر.

وضع المحللون الأقباط «تصوراً خاصاً» يمنع في نظرهم اتجاه البلاد إلى المزيد من «الأسلمة»، وذلك على النحو التالي:

– سرعة دعم مصر اقتصادياً لمنع تفاقم الأزمة الاقتصادية، وانخراط الشباب بالتالي في الحركة الإسلامية.

– الدعم القوي لجهود مصر في استرداد أموال الدولة التي قيل: إن الرئيس وعائلته قد استولوا عليها، على افتراض صحة هذه الادعاءات.

– أن تعلن الولايات المتحدة وقوفها إلى جانب الشعب المصري حتى تكسب قلوب المصريين.

– العمل على «تعديل» وليس «إيقاف» قانون الطوارئ حتى يقتصر تطبيقه على «الإرهابيين» فقط، دون الأبرياء والمعارضة السياسية.

– القيام بحملة إعلام منظمة جيدة تستفيد من مجريات الأحداث في المظاهرات، يكون محورها إبراز التعاضد بين المسلمين والأقباط في العمل على إسقاط النظام، وكذلك التركيز

على عدم اشتراك الإسلاميين في التظاهرات منذ بدايتها، وأخيراً التركيز على فشل نظرية المؤامرة التي يستند إليها الإسلاميون، والتي من شأنها أن تضع مقدرات الأمور في أيديهم مرة أخرى.

رؤى أمريكية

درس الأقباط جيداً تصورات خبراء السياسة والدبلوماسية والإستراتيجية من الأمريكيين عمن يملأ الفراغ بعد سقوط نظام «مبارك»، ولخّصوا هذه التصورات على النحو التالي:

أولاً: تصور «جيمس فيليبس» أحد كبار الباحثين في شؤون الشرق الأوسط في مؤسسة «هيريتاج».

يقول «فيليبس»: إن «الأمر سيؤول إلى الإسلاميين بعد سقوط «مبارك»، وقد يعقب سقوطه فترة من الفوضى في البلاد، تدخل فيها الأحزاب السياسية في صراع على السلطة، ويسيطر بعدها الإسلاميون على البلاد بحكم أنهم الجماعات الأكثر تنظيماً، وقد تقوى الحركة الإسلامية أكثر فأكثر، ويستقر الأمر للإسلاميين بعد أن يخرج الليبراليون والعلمانيون والاشتراكيون والمعتدلون الديمقراطيون من حلبة الصراع».

ثانياً: تصور «سكوت كاربنتر» أحد باحثي مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأدنى.

يقول «كاربنتر»: «هناك خشية فعلية من أن يملأ الإسلاميون الفراغ بعد سقوط نظام «مبارك»، لكنه من غير المحتمل أن يحدث ذلك على المدى القصير، لأن القوات المسلحة لن تسمح مطلقاً بتسلم الإسلاميين للسلطة، وقد يقوم الجيش بتعيين رئيس مؤقت للبلاد لفترة محدودة، ثم يعدّ لإجراء انتخابات في أسرع وقت، لكن السؤال الذي يتبقى هو: هل يمكن أن تحد هذه الإجراءات من التظاهرات في الشارع المصري؟».

ثالثاً: تصور «بروس ريدلي» ضابط الاستخبارات الأمريكية السابق وأحد كبار المتخصصين في السياسة الخارجية بمؤسسة «بروكلينج».

يقول «ريدلي»: «لن يكون الأمر سيئاً للغاية بتولي الإخوان السلطة، والخشية ليست من تنظيم الإخوان، إنما هناك من هم أسوأ من الإخوان.. إن العديد من الباحثين في الإسلام السياسي يرون أن الإخوان هم أكثر التنظيمات معقولية في العالم العربي، خاصة بعد تخليهم عن العنف، وهم أكثر التنظيمات الإسلامية اعتدالاً، ولو تولى الأمرَ غيرُهم فسيكون الحال أكثر سوءاً».

محللون أقباط: شبح الإسلاميين الذي كان النظام السابق يهدّد به الولايات المتحدة كان شَرَكاً وقع فيه الأمريكيون.. وليس أمراً حقيقياً

الباحثة «دينا جرجس»: الإسلاميون قد يمارسون دوراً مهماً في حكومة ما بعد «مبارك».. لكنهم لن يكونوا في مركز القيادة

تصورات الأقباط

بقي أخيراً أن نعرض لتصورات الأقباط عن مستقبل أوضاعهم بعد سقوط نظام «مبارك».

اختلفت في الواقع تصورات الأقباط التي يمكن وضعها على متصل تمثل قطبه الأول «ماري عبدالمسيح» من هيئة أخبار (AINA) ، حيث قالت: «لا أعتقد أن هناك خوفاً على الأقباط في هذه اللحظة، فالكل كان مشغولاً بقضية الإطاحة بالنظام المستبد، والمسلمون والأقباط اتفقوا على ضرورة إسقاطه».

أما «دينا جرجس»، الباحثة القبطية التي تعمل كمراقبة للسياسة المصرية في معهد «واشنطن»، فإنها تحذر من القفز بالاستنتاجات عما يمكن أن يحدث للأقباط بعد سقوط «مبارك»؛ حيث ترى أن «الإسلاميين قد يمارسون دوراً مهماً في حكومة ما بعد «مبارك»، لكنهم لن يكونوا في مركز القيادة.. من المحتمل أن تتشكل

ثلاث رؤى أمريكية درسها الأقباط:

- «جيمس فيليبس»: الحركة الإسلامية ستقوى أكثر بعد أن يخرج الليبراليون والعلمانيون والاشتراكيون من حلبة الصراع
- «سكوت كاربنتر»: هناك خشية فعلية من أن يملأ الإسلاميون الفراغ بعد سقوط نظام «مبارك» لكن ذلك لن يحدث على المدى القصير
- «بروس ريدلي»: ينبغي ألا نخشى من الإخوان المسلمين.. فهم أكثر التنظيمات الإسلامية اعتدالاً في العالم العربي



«ثيوقراطية»..ماذا تعني؟

يصف مصطلح «ثيوقراطية» حالة تحالف الملك والكنيسة والإقطاع في التاريخ الأوروبي، لذلك لابد أن يُستخدم هذا المصطلح في سياقه التاريخي ليصف تلك الحالة بشكل محدد، دون تزييف أو تلفيق.

والدولة الإسلامية ليست دولة «ثيوقراطية»، ولم يظهر مثل هذا التحالف في التاريخ الإسلامي، ولم يكن هناك أحد يحتكر المعرفة، وليست هناك أسرار أو غموض في تعاليم الإسلام.

والحُكم «الثيوقراطي» هو نظام يعتبر أن الله هو السلطة السياسية العليا، وأن القوانين الإلهية هي القوانين المدنية الواجبة التطبيق، وأن رجال الدين بوصفهم الخبراء بتلك القوانين الإلهية، فإنه تتمثل فيهم سلطة الله، والتي يكون لزاماً عليهم تجسيدها من خلال فرض وتطبيق قوانينه السماوية.

والدولة الإسلامية التي يخشاها الغرب ليست بهذا المفهوم، وعلماء الدين في الإسلام ليسوا وسطاء بين العبد وربه، فضلاً عن أن الدين الإسلامي نفسه ليس به رجال «كهنوت»، كما أن العلماء أو الحكومة في الإسلام ليسوا أوصياء من الله على خلقه.

فمن يدّعي أن الحُكم الإسلامي «ثيوقراطي» يكون قد ظلم الحقيقة، لأن الحاكم المسلم يُنتخَب من الشعب، وهو ليس معصوماً؛ إذ يخطئ ويصيب، ويُحاسب ويُعزل.. وليس هناك في الإسلام طبقة «الكهنوت» المشار إليها، وإنما يحكم في الأمة أفضلها بشروط معينة تقدمها الأمة، وتختاره على أساسها لإدارة مصالحها في الدنيا.■

- المصدر: (www.alimam.ws/ref/٦٩١/doc)

حكومة وحدة وطنية تتكون من قوى سياسية متنوعة، لكن الكل - بمن فيهم الإسلاميون - سيعملون وفق قواعد اللعبة الديمقراطية».

وإذا تقدمنا خطوة حتى نصل إلى منتصف هذا المتصل، سنجد من الأقباط مَن يخشى وصول الإسلاميين إلى السلطة وتطبيقهم للشريعة الإسلامية تطبيقاً حرفياً، وإذا وصلنا إلى نهاية المتصل سنجد أن الأقباط على هذا الخط الأخير متأثرون بشدة بآراء السفير الأمريكي السابق في الأمم المتحدة «جون بولتون» الذي يرى أن «الخطر محدق بالأقباط بعد سقوط مبارك»، وأن «شباب التظاهرات تعلّم في الجامعات نفس ما ينادي به الإسلاميون، ولهذا فإن القلق من تطرفهم قائم جداً».

وامتداداً لرأي «بولتون»، انفعل الأقباط بشدة مع آراء الباحث الأمريكي من أصل لبناني «وليد فارس» أحد العاملين في «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية» بالولايات المتحدة، والذي يردد أصلاً آراء «مردخاي نيسان» الأستاذ بالجامعة العبْرية في الكيان الصهيوني، الذي ينادي فيها بالآتي:

أولاً: تقسيم مصر إلى دولتين: قبطية في جنوبها، ومسلمة في شمالها، وأن تقوم الولايات المتحدة و«إسرائيل» بحماية أمن هذه الدولة الوليدة.

ثانياً: أن تضطلع «إسرائيل» بدور مهم في حماية النصارى في المنطقة العربية، وخاصة مصر والسودان ولبنان والعراق.

خلاصة التحليلات

وخلاصة ما انتهت إليه تحليلات الباحثين الأقباط والخبراء الأمريكيين عن مستقبل الأقباط بعد حقبة «مبارك» ما يلي:

أولاً: تأكيد أن ثورة ٢٥ يناير هي ثورة علمانية تحررية، خَفَتَ فيها الصوت الإسلامي بوضوح، وأنها ثورة ترفع شعارات الحرية والديمقراطية والدولة المدنية التي لا وجود فيها للشريعة الإسلامية.

ثانياً: إنه على الرغم من عدم احتمال قيادة الإسلاميين للسياسة بعد حقبة «مبارك»، وتأكُّد الأقباط بأن العسكر لن يسمحوا بقيام دولة إسلامية، فإن الأمر مازال مقلقاً لهم.

ثالثاً: إن انفصال الجنوب المسيحي عن الشمال المسلم في السودان قد أمدّ الأقباط بدفعة قوية للسعي نحو المطالبة بتأسيس دولة قبطية في جنوب مصر تحت حماية الولايات المتحدة و«إسرائيل».

رابعاً: إن «إسرائيل» يمكن أن تضطلع بدور مهم، ليس في حماية أقباط مصر فقط، بل في حماية الأقباط في مختلف الدول العربية الأخرى المحيطة بمصر.■

المصادر

(1) Husani Massri, Are the Copts at Risk in a Post-Mubarak Egypt?
www.asianews.it... /In-Egupt-young-people-are-changing-Islam-separating-religion-religion-and-politics.20757.htm/

(2) Jerry Gordon, Are the Copts at risk in a Post-Mubarak Egypt?
www.redocounty.com/ …/ are-copts-risk-post-mibarak-egypt

(3) Tawfik Hamid , Curbing Islamic radicalization in post-Mubarak Egypt, www.tawfikhamid.com

من أهم ما كشفتْ عنه أحداث «ثورة شباب ٢٥ يناير»، موقفك غير الأمين بالنسبة لمصر عامة، وخاصة بالنسبة لشباب أتباعك الذين حَرَمْتَهم من المشاركة مع إخوانهم المسلمين، وفرضتَ عليهم الانفصال وكأنهم ليسوا من أبناء هذا الشعب، وعزلتهم داخل أسوار الكنيسة التي تحولت إلى «دولة مارقة»، كما فرضتَ عليهم مصادرة شرف التعبير عن الرأي من أجل اقتلاع النظام الفاسد.. بل والأدهى من ذلك، لقد قمتَ بترتيب مظاهرة تأييد ومساندة لـ«مبارك»؛ يقودها ويسير فيها العديد من قساوستك المتضامنين مع توجهاتك أو الخاضعين لك، وهو ما كشف عن تواطؤك الشديد مع ذلك النظام وفساده، بل وبكائك الحار على اقتلاعه!

رسالة إلى.. البابا «شنودة الثالث»

بقلم: د. زينب عبدالعزيز (*)

وما هي إلا أيام معدودة حتى ارتفع صوتك؛ لتركب الموجة، وتبارك نجاح هذه الثورة، وتطالب - في الوقت نفسه، بكل جبروت - بإلغاء المادة الثانية من الدستور!

وهنا، لا بد من وقفة لاستعراض كل ما قمتَ به من محاولات منذ أن توليتَ مقاليد كنيسة «الأقباط» في مصر عام ١٩٧١م، والإعلان عن محاربة الإسلام والمسلمين بزعم أن «نظام الحكم في مصر إسلامي عدائي قائم على اضطهاد الأقباط»!

ولا يتسع المجال هنا للتحدث عن كل ما قمتَ به من خيانات في حق الوطن، وفي حق المسلمين، بل وفي حق الأقباط الذين تضللهم بكل ما يتجرعونه منك من أضاليل وأكاذيب، وما أكثرها، من قبيل اجتماعاتك مع ميليشياتك في الغرب، وترديد أن «الأقباط» في مصر مضطهَدون دينياً من قِبَل النظام المصري، والعمل على قلب نظام الحكم في مصر وتغيير دينها، والمساس بأمنها بتقسيم البلاد لإقامة «دولة دينية قبطية» في جنوب مصر، أو القيام بتكديس الأسلحة في الأديرة تحسباً لمعركة تعد لها، أو فضيحة الاتجار بالبشر أو بأطفال الزنا التي فجّرتها السفارة الأمريكية في مصر وتورط فيها ثلاثة أديرة، في القاهرة وبني سويف ومرسى مطروح، وجميع قياداتها من الأقباط، والتربّح بالملايين من هذا الجرم..

(*) أستاذة الحضارة الفرنسية

وتفتّق ذهنك كالمعتاد، فقمتَ بتوجيه زبانيتك في الإعلام لتبرئة الكنيسة، وإلقاء التهمة على المسلمين!

وقائع كثيرة

لن أتناول مطالبتك بمنح «الأقباط» في مصر حكماً ذاتياً، أو الصمت على إنتاج الكنيسة مسرحية تسخر من النبي محمد ﷺ، أو تدنّي بعض القساوسة إلى أقل درجات الانحطاط والبذاءة في بعض الفضائيات لسبِّ الإسلام ورسوله الكريم ﷺ.

ولن أتناول وصفك الشريعة الإسلامية بأنها «الأكثر عنصرية في العالم»، والمطالبة بحذف خانة الديانة من البطاقات الشخصية، أو إقامة المؤتمرات وخاصة ذلك المعروف باسم «مؤتمر ضد التمييز» في أبريل ٢٠٠٩م؛ لمكافحة القرآن، والمطالبة بإلغاء تعليم القرآن ومسابقات تحفيظه، أو الاستقواء بـ«الفاتيكان».. ففي نوفمبر ٢٠٠٧م، قام تنظيم يُطلق عليه «الأقباط الأحرار» بتقديم طلب إلى الفاتيكان لإنقاذهم من طغيان الحكم في مصر واضطهاده للأقباط مما يضطرهم إلى الهجرة.

لقد تم تنصير شكل البلاد بحيث لم تعد مصر ذات «الألف مئذنة» وإنما ذات «الألف كنيسة» وأكثر.. علماً بأن النصرانية لا تنص على ضرورة الصلاة في كنيسة!

ولن أتناول أحداث العمرانية الإجرامية التخريبية، واستخدام الأسلحة والحجارة في ضرب رجال الأمن، وتعطيل المرور، وضرب مبنى المحافظة، والمساس بأمن الشعب المصري، وكل ما واكب هذا الإجرام الفاضح من تنازلات استفزازية من جانب الدولة المغلوبة على أمرها آنذاك، والسكوت على كل ما قمتم به.

المادة الثانية من الدستور

سأترك كل هذا، والمئات غيرها من الوقائع المشابهة؛ لأتوقف عند مطالبتك بإلغاء المادة الثانية من الدستور، التي تنص بوضوح على أن «الإسلام هو الدين الرسمي للدولة المصرية، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع».. وهذا المطلب الوقح لا يثير الفتنة في الدولة فحسب، وإنما يزيد النار اشتعالاً في نفوس المسلمين، لكثرة ما قام به النظام الفاسد السابق من تنازلات في حق الإسلام والمسلمين، إرضاءً لك وللغرب المسيحي المتعصب، الذي تستقوي به وتغمره بالمعلومات الكاذبة المغرضة ليقوم بتأييدك وتأييد مطالبك.

ولا يتسع المجال هنا لتناولها، وإنما سأكتفي بالإشارة إلى «مجمع أساقفة الشرق الأوسط» في أكتوبر الماضي (٢٠١٠م)، الذي قام بناءً على الطلبات المرفوعة من أولئك الأساقفة الكذبة، إلى بابا الفاتيكان، يشكون له ما يعانون من اضطهاد ويطالبونه بالتدخل هو والهيئات الدولية المسيحية لإنقاذهم!

وهو ما قام به البابا «بنديكت السادس



قمتَ بترتيب مظاهرة تأييد لـ«مبارك» يقودها قساوستك.. وهو ما كشف تواطؤك مع النظام البائد وحزنك على اقتلاعه!

..وبعد أيام معدودة ارتفع صوتك لتركب الموجة وتبارك نجاح الثورة وتطالب بكل جبروت بإلغاء المادة الثانية من الدستور!

عشر» عند مطالبته رسمياً للبرلمان الأوروبي بالتصرف، وهو يجاهد حالياً لإدخال «حماية الأقباط والأقليات المسيحية» في جدول أعمال ومهام ذلك البرلمان والمؤسسات التابعة له، الأمر الذي يندرج تحت بند التدخل في الشؤون الداخلية للدولة.. ويا للظلم والجبروت، بل يا للوقاحة التي تعجز الكلمات عن وصفها!!

وللعلم، فإن الدستور المصري حين نص على أن الإسلام دين الدولة لم يقم ببدعة شاذة في الوجود أو في القانون، وإنما ذلك عُرْف متّبع في العديد من بلدان العالم، فالدستور في اليونان والدنمارك وإسبانيا والسويد - على سبيل المثال لا الحصر - ينص على أن المسيحية دين تلك الدولة، وفي بريطانيا التي تعيش بلا دستور تنص المادة الثالثة من القانون على أن الشخص الذي يتولى المُلك يجب أن يكون من رعايا كنيسة إنجلترا، بل ولا يُسمح لغير المسيحيين ولغير البروتستانت أن يكونوا أعضاء في مجلس اللوردات!

والاعتراض هنا لا ينصبُّ على كل هذه المخالفات التي تقوم بها وغيرها فحسب، من قبيل ادعاء ظلم «الأقباط» في الدولة وحرمانهم من المناصب، بينما ثلاثة أرباع الاقتصاد المصري في أيدي «أقباط»، وثلاثة أرباع المليارديرات المصريين من «الأقباط» أيضاً، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر (بخلاف الرباعي «ساويرس»): «ثروت باسيلي»، و«ريمون لكّح»، و«منير فخري عبدالنور»، و«فايز صاروفيم»، و«عماد مينا»... إلخ (وفقاً لمجلة «فوربس» الأمريكية).

كما تضخمت أموال الكنيسة وصارت بمئات المليارات في غيبة رقيب أو محاسب من الدولة الغائبة آنذاك، فالكنيسة هي الهيئة الوحيدة في مصر التي لا تتم مراقبة مصروفاتها ولا مواردها من الجهاز المركزي للمحاسبات، وتصرفاتها المالية تتم بإشراف ذاتي، ولا يجوز لأحد التدخل فيها، والكنيسة هي التي تتحكم في أوقافها ولا دخل أو رقابة من الدولة.

ألف كنيسة

ولن أتناول فضيحة أو فرية حرمان الأقباط من بناء كنائس، في الوقت الذي تم فيه تنصير شكل البلد، بحيث لم تعد مصر ذات الألف مئذنة، وإنما ذات الألف كنيسة

وأكثر، علماً بأن المسيحية لا تنص على ضرورة الصلاة في كنيسة، لأن الكنائس لم تكن موجودة أيام المسيح عليه السلام، والمكتوب هو أن يصلي الأتباع في البيت.

والاعتماد على أن المسيح قال لـ«بطرس»: «أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (متّى: ١٦ - ١٨) اعتماد خاطئ؛ لأن هذه الجملة تُعَدُّ من الجمل المضافة، ومن متناقضات الأناجيل، ولا يجوز الاعتماد عليها؛ لأن المسيح قال له في الفقرة التالية مباشرة: «وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس» (متى: ١٦ - ٢٣)، وهو ما يؤكده «مرقس» قائلاً: «فانتهر بطرس قائلاً: اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس» (مرقس: ٨ - ٣٣)، مع العلم بأن «متّى» كان قد أورد قبل ذلك بإصحاحين أن «بطرس» هذا قليل الإيمان وفقاً للمسيح، الذي قال له: «يا قليل الإيمان لماذا شككت؟» (متّى: ١٤ - ٣١).. فكيف يمكن بناء كنيسة اعتماداً على شخص قليل الإيمان، وينهره المسيح ويُبعده عنه لأنه معثرة له؟!

تحريف الإنجيل

إن اعتراضي ينصبُّ أساساً على موقفك العجيب، فأنت تقف على الضلال، وتفرضه على حوالي أربعة ملايين من الأتباع بصرامة، وكانوا يعيشون بسلام بين إخوانهم الذين يصل عددهم إلى حوالي ثمانين مليوناً، وتطالب أنت بحذف مادة من دستور الدولة ذات الأغلبية المسلمة الساحقة، والتي تنص على أن الإسلام دين الدولة، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع؟!

ولعلك لم تنسَ بعدُ أن هذه المادة تحديداً وهذه الشريعة الإسلامية بالذات هي التي أنقذتك حين تحدّيتَ قانون الدولة، ورفضت تنفيذ حكم المحكمة الإدارية العليا الذي يُلزمك بالتصريح بالزواج الثاني للأقباط المطلقين بدعوى مخالفة الإنجيل.. ويا للغدر!

والضلال الذي تقف عليه هو المسيحية الحالية، التي لا يعرف عنها المسيح شيئاً.. والثابت علمياً أن «بولس»، الذي جعل نفسه رسولاً، هو أول من ابتدع تحريفها الذي تواصل حتى عهد قريب، حين وعد بابا الفاتيكان السابق «يوحنا بولس الثاني» اليهودَ بتعديل ٧٥ جملة من جمل الأناجيل حتى يتمشى مع التحريف الذي قام به مجمع الفاتيكان الثاني؛ تبرئة اليهود من دم المسيح، وذلك رغم أكثر من مائة جملة في هذه الأناجيل تتهم اليهود بإهانته وتعذيبه وقتله!

تدّعي ظلم «الأقباط» في الدولة وحرمانهم من المناصب.. بينما ثلاثة أرباع الاقتصاد المصري في أيدي «أقباط»!

«الكنيسة» هي الهيئة الوحيدة التي لا يراقب الجهاز المركزي للمحاسبات تصرفاتها المالية.. ولا يجوز لأحد التدخل فيها

وهو ما يؤكد أن عملية التلاعب بنصوص الأناجيل مألوفة وممتدة وتتواصل عبر القرون.. وللعلم، فقد أثبت معهد «ويستار» بالولايات المتحدة أن «٨٢٪ من الأقوال المنسوبة لـ«يسوع» في هذه الأناجيل لم يقلها»، وأن «٨٦٪ من الأعمال المسندة إليه لم يقم بها».

موقف متناقض

وما أعترض عليه أيضاً في موقفك المتناقض هذا هو انصياعك للفاتيكان، وقبولك المشاركة في عملية تنصير العالم لاقتلاع الإسلام والمسلمين، وقبلت قرار أن تشترك الكنائس المحلية في عملية تنصير العالم، كما قبلت فرض مساهمة كافة الأتباع في عملية تنصير العالم لاقتلاع الإسلام والمسلمين.. وهنا، لا يسعني إلا أن أقول لك: إنك بقبولك هذا التضامن الوضيع مع الفاتيكان تضع الكنيسة في مصر وكل أتباعها في موقف الخيانة لبلدهم، والخيانة للأغلبية الساحقة التي يعيشون بينها.

وليست هذه بالخيانة الوحيدة التي قمت بها في انصياعك للفاتيكان، فقد أعلن عن التنازلات التي قدمتَها في العقيدة الأرثوذكسية، وإن «الخلافات بين الكنيستين قد انتهت تقريباً، ولا يبقى إلا خمسة أو ستة بالمائة من المشكلات بينكما».. أي أن الخلافات العقائدية التي امتدت مئات السنين وآلاف القتلى الذين أُريقت دماؤهم قد ذهبت هباءً.. وأوضح دليل على ذلك، الرضوخ لمطلب الفاتيكان بتوحيد تواريخ «عيد الميلاد» و«عيد الفصح»؛ بغية توحيد مختلف الكنائس وفقاً لكاثوليكية روما وسيادة رئيسها(!)، وهو ما كان مجمع الفاتيكان الثاني (عام ١٩٦٥م) قد قرره وسعى حثيثاً لتنفيذه.

ليتك تكف عن إشعال الفتن في الوطن الدامي وتعتذر للمسلمين.. بل تعتذر للشعب المصري الأصيل بكل فئاته فكم أهنت من المسيحيين أيضاً!

ليتهم يدركون!

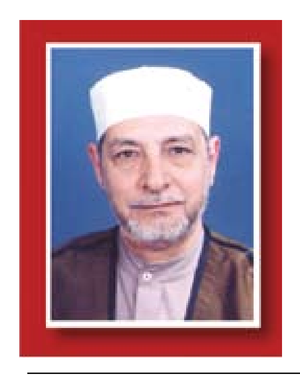
ليت أتباعك - وخاصة خونة المهجر الذين فروا هرباً من مصر أيام التأميم، والذين تستعين بهم في مؤامراتك، وكل من أنشأتهم ليكونوا ميليشيات تحارب بهم المسلمين - ليتهم يدركون ما تقدمه من تنازلات في حق دينهم، وهو دين ظلت المؤسسة الكنسية تفرضه عليهم بكل صرامة وبلا نقاش، فمن يسأل عن المتناقضات يُعَدُّ ملعوناً ويُحرم مصحوباً باللعنات(!).. ليتهم يدركون كل ما تضعهم فيه من محن وأخطار باللعب والتلاعب، بإصرارك على المساس بالإسلام والسماح بسب الرسول ﷺ.

..وليتك تعتذر!

ليتك تفيق وتتدارك الأمر، وتكف عن بث الفرقة بين الشعب المصري الواحد الأصيل، الذي لم يعرف الفرقة إلا حين أتيت لتنفيذ مطالب ذلك المجمع الفاتيكاني اللعين، وساهمتَ في عملية تنصير العالم.. وليتك تكف عن حقن النفوس والتضليل، وتقوم بالاعتذار الذي كان يجب عليك تقديمه عند انكشاف فضيحة الأسلحة القادمة عند طريق أحد أتباعك من الكيان الصهيوني، وفضيحة «وفاء قسطنطين»، وغيرها من الفضائح والمخازي الكثيرة حقاً!

ليتك تكف عن إشعال الفتن في الوطن الدامي، وتعتذر للمسلمين وللدولة المسلمة، بل تعتذر للشعب المصري الأصيل بكل فئاته، فكم أهنتَ من المسيحيين أيضاً.. وأن تقدّم ذلك الاعتذار الذي كان يجب عليك تقديمه منذ عدة شهور، لكنك أبيتَ، وتلاعبتَ تكبّراً وإصراراً!■

هل آن للدكتاتوريات في العالم الثالث أن تزول؟



د.توفيق الواعي

dar_elbhoth@hotmail.com

«يبدأ الطغيان عندما تنتهي سلطة القانون، أي عند انتهاك القانون وإلحاق الأذى بالآخرين»، «فالشرطي الذي يجاوز حدود سلطاته يتحول إلى لص أو قاطع طريق، كذلك كل من يتجاوز حدود السلطة المشروعة سواء أكان موظفاً رفيعاً أم وضيعاً، ملكاً أم وزيراً، بل إن جرمه يكون أعظم إذا صدر عمن عظمت الأمانة التي عُهد بها إليه...» (من أقوال «جون لوك»).

«إذا ذاق المرء قطعة من لحم الإنسان تحول إلى ذئب!!»، «فمن يقتل الناس ظلماً وعدواناً، ويذوق بلسانه وفمه الدنسين دماء أهله ويشردهم ويقتلهم ينتهي به الأمر أن يصبح وحشاً وطاغية وذئباً» (من أقوال «أفلاطون»).. مثل هذا الطاغية، أو الشخصية البهيمية، أو الحيوان الأكبر - كما يسميه «أفلاطون» - لن يصادق إلا رفقاء السوء، ولهذا لا ينبغي لنا أن ندهش عندما نجد أعوان الطاغية يمارسون مجموعة من الجرائم الكبيرة، كالسرقة، واغتصاب الأموال، وهتك الأعراض، وبيع الأحرار، وقتل الآمنين، وإذا كانوا يجيدون الحديث احترفوا الوشاية، وشهادة الزور أو الاتهام الكاذب للأبرياء، وأخذ الرشوة، وبيع الأسرار، وهذه الجرائم تعد قليلة وصغيرة بالنسبة للجرائم الفادحة التي يرتكبها الطغاة، وهذه الآثام كلها لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً إذا ما قورنت بما يجلبه الطاغية على الناس والدولة من بؤس ودمار وبلاء، كما يشير أفلاطون إلى أن هؤلاء الأعوان يمكن أن يخلقوا الطاغية، فيقول: إذا وجد في الدولة عدد كبير من هؤلاء النفعيين والمتسلقين ومن أتباعهم وشعروا بقوتهم، فإن هؤلاء - مستعينين بغباء الشعب - هم الذين يخلقون الطاغية.

والتاريخ دائماً يعيد نفسه ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠)، وقد حدثنا القرآن عن كثير من الطغاة وأعوانهم الذين استخفوا بالشعوب والأقوام: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (الزخرف)، حدثنا عن فرعون وغيره فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (القصص)، ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر).

كما حذرنا من عواقبهم الوخيمة التي تحيق بهم فقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ (إبراهيم).

وقد أنار الإسلام التاريخ الإنساني وخلص البشرية من ظلم الطغاة والجبابرة وجعل الركون إليهم هلاكاً وكفراً فقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (هود)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ (النساء).

ولكنه وبعد خمود الجذوة الإسلامية في ديار المسلمين وضياع المثل الإسلامي من العالم، استفادت نهضات، وارتكست أخرى وخصوصاً في العالم الثالث الذي جاست خلاله عصابات من الدكتاتوريات ووحوش من الطغاة، أكلت الآمنين، وعاشت على دمائهم، وتألهت في مجتمعاتهم، وأسامت الناس صنوف العذاب أشكالاً وألواناً، وأنّت الجماهير تحت وطأتهم أنين الاحتضار، وحشرجت من بأسهم وبغيهم حشرجة الموت، وما حظيت بشيء من الرحمة أو بلفتة من الرعاية، رغم أنهم البقرة الحلوب التي ينهبون حلابها، ويسرقون قوتها، ويطؤون ظهرها، ويلوكون أكبادها.

والحقيقة، أنني كلما قرأت عن الاستبداد والطغيان في القديم أو الحديث أجده يرتبط بعضه بعضاً، ويأخذ بعضه بحُجز البعض الآخر، فصفحات الدكتاتورية القديمة هي هي ديكتاتورية العصر الحديث المتخلفة، ففي القديم حين يتحدث المظلوم والمكلوم عن الدكتاتور الذي تسلط عليه، وسامه سوء العذاب، يقول: الراعي الموكل بي قد أرسل قوى الشر عليَّ، أنا الذي لست عدوه، أعوانه لا يقولون فيَّ كلمة الحق، يقولون عن كلامي الصادق: إنه كذب وزور، ولقد تآمر عليّ المخادع المرائي، وأنت يا إلهي (الحاكم) لا تحبط مسعاه بل تساعده، فأنا الحكيم، لماذا أقيد مع الجهلة، وأنا المدرك العاقل؟ لماذا أحبَس مع المجرمين؟! الطعام وفير في كل مكان، لكن طعامي الجوع، في اليوم الذي قسمت فيه الأنصبة على الناس كان نصيبي هو الألم والغباء، يا إلهي أريد أن أقف بين يديك، أريد أن أكلمك، وكلمتي أنين ونواح، وأريد أن أعرض عليك أمري، وأندب مرارة سبيلي، أريد أن أندب اضطراب حالي، عيناي تحدقان، ولكن لا تبصران، أذناي مفتوحتان ولكن لا تسمعان، الوهن تملّك جسدي كله، والرعشة قضت على لحمي، قبض الشلل على ذراعي، والعجز على ركبتي، حتى نسيت الحركة قدماي، آلامي موجعة، وجرحي قاس، المعذب لا يكف عن تعذيبي طوال النهار، ولا يتركني أستريح بالليل ولا للحظة واحدة، لقد انشقت عروقي، وتمزق جسدي، وأنا أقضي الليل كالثور في الروث، وأتمرغ في مضلاتي كالغنم، وأنا الآن كأن قبري ينتظرني وأنا أعد جنازتي وقد توقف النواح عليَّ قبل أن أموت، لكنني أعلم اليوم الذي سيجيء فيه الفرج، إنني أراه، وذلك عندما تشرق شمس الحرية ويكلؤنا الله برحمته، وتكون انتفاضة الحياة السعيدة هذه الأنات القديمة من المقهورين.

ألا ترى معي يا أخي أن هذا الألم هو نفسه الذي يعانيه الذين يرزحون تحت الدكتاتوريات الآن؟ وأن هذا العناء الذي تقاسيه الأفراد والشعوب هو هو نفسه، وأن الأمم المقهورة اليوم تمني نفسها بانتفاضة، وتحلم بيوم الخلاص، كما كانت تتمناه الشعوب من قبل، ولقد رأت دول العالم الثالث هذه الأيام، وينظر العالم معها إلى تهاوي طاغية وسقوط دكتاتور أذاق أمته الويل والثبور، بعد انتفاضة شعبه الذي رزح تحت الظلم كثيراً؛ حيث كان هذا تحقيقاً لهذه الأحلام المكبوتة، وتخليصاً لهذه الشعوب المنكوبة، رغم أنه سرق أموال الشعب بما يقدره المحللون بأكثر من ٧٠ مليارا من الدولارات والتي تكفي لسداد ديون بلاده التي أثقلها بها هذا الطاغية، فبعد ٣٠ سنة عجاف طوال، أكلت من المشردين ما أكلت، وخلفت من المآسي ما خلفت، ولكن الشعب اليوم في سعادة وفرح، لأن الحرية لا يعدلها شيء، ولكني أريد أن أقول: هل مازالت دكتاتوريات العالم الثالث اليوم تظن أنها مُخلدة؟ أم أنها فهمت أن يومها آت لا محالة؟ أظن أنها زائلة وعن قريب إن شاء الله.. وهل سيكون حكامنا الجدد أكثر دكتاتورية، ولكن بلون جديد، وديمقراطية مزيفة؟ أقول: نعم، إذا أصبح الشعب نائماً، والجهل سادراً.. ونسأل الله ألا يكون ذلك آمين.■



يُعَدُّ تعرّض المعتقلين والمحتجزين لمختلف صور الوحشية والتعذيب من أبرز صور الفساد الشُرطي، وقد تناول العديد من الدراسات هذه الصورة، ومن أبرز من كتبوا في هذا المجال الصحفي والمستشار النفسي النيجيري «لو ميفور»، الذي يرى أن «الوحشية البوليسية موجودة في مختلف دول العالم، وهي واحدة من أنواع عدة من سوء السلوك الشُرطي، ومنها: الاعتقال بدون سبب، والتعذيب، والتخويف، والتطهير العرقي، والقمع السياسي، وإساءة استعمال الرقابة الشُرطية، والاعتداء الجنسي...إلخ».

الفساد في جهاز الشرطة.. خلاصة الخبرة العالمية (٣ من ٣)

الآثار الاجتماعية والنفسية على الضحايا والمجتمع.. وكيفية



ويقول «لو ميفور» في مقال له بعنوان «الآثار النفسية والاجتماعية للتعامل الوحشي والتعذيب البوليسي في نيجيريا»: إن «الوحشية البوليسية هي الاستخدام العمدي للقوة المفرطة التي عادة ما تكون جسدية، وتتضمن أشكالاً من العدوان الشفهي والنفسي من قِبَل رجل شرطة، أو ضابط سجون، وقد يكون الاعتداء كمبادأة من رجل الشرطة، أو بناء على أوامر صادرة إليه من قِبَل ضابطه الأعلى استجابة لتعليمات حكومية أو إدارية».

آثار الفساد

أما عن أهم الآثار التي تترتب على فساد جهاز الشرطة، فيمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

أولاً: فقد الشعب ثقته في جهاز الشرطة:

إن أي فعل فاسد وإن صَغُر، ومجرد تقاعس أحد رجال الشرطة عن إنفاذ القانون أو دخوله في أنشطة غير مناسبة يسيء إلى سمعة الجهاز كله، ويُفقد الناس ثقتهم واحترامهم لأفراده، ويشكون في أمانتهم وعدالتهم، ويرون أن رجال الشرطة يمكنهم فعل أي شيء طالما أن هناك أموالاً تُدفع لهم، والسلطة في أيديهم.

ثانياً: الخوف من رجال الشرطة:

حينما تفقد الجماهير ثقتها في رجل الشرطة، وتنتشر الشائعات حول فساد رجالها؛ ينتاب الجماهيرَ الخوفُ منهم والإحساسُ بعدم الأمان.

ثالثاً: فقد الثقة في القانون:

يرى بعض الناس أن فساد جهاز الشرطة يُفقد الناس الثقة في القانون؛ لأنه إذا لم يخضع رجل الشرطة للقانون؛ فلماذا يطيعه الأفراد؟ ذلك لأن القائمين على تنفيذ القانون قد يكونون عملاء لمجرمين أكثر منهم ممثلين لسلطة تردع هؤلاء المجرمين، كما يؤدي انتشار الفساد في جهاز الشرطة إلى فقْد الثقة في مصداقية رجاله أمام المحاكم، وهذا من شأنه أن يدمر نظام العدالة الجنائي، وقد تتأثر ثقة الناس حتى

حينما تفقد الجماهير ثقتها في الشرطة وتنتشر الشائعات حول فساد رجالها ينتاب المواطنين الخوف والإحساسُ بعدم الأمان

..وقد تتأثر الثقة حتى في الضباط الشرفاء فيتوقع الناس أن المذنب يمكن إطلاق سراحه حتى بعد محاكمته

ـــة الحد من الظاهرة

في الضباط الشرفاء، فلا يثقون في شهاداتهم أمام القضاء، ويتوقعون دائماً أن المذنب يمكن أن يُطلق سراحه حتى بعد محاكمته.

رابعاً: تبنّي العقلية الثنائية «نحن وهم»:

أشارت بعض الدراسات إلى أن هناك أثراً خطيراً للفساد الشُّرطي، يجد ترجمته في علاقة المواطنين برجال الشرطة، حيث يؤدي إلى فساد إدراك رجل الشرطة لما يجب أن تكون عليه هذه العلاقة.. خلاصة هذه الدراسات أنه «مع بداية التحاق الطلاب بجهاز الشرطة، يبدأ نوع جديد في علاقتهم مع المجتمع في الظهور، إنه العقلية الثنائية «نحن» أي رجال الشرطة، و«هم» أي الجماهير».

تنمو هذه العقلية مع الضباط الجُدد أو العاملين الجُدد بالتدريج، وتغذيها سرية الأعمال التي يقومون بها، والضغوط والأخطار التي يتعرضون لها، وكل هذا يؤدي إلى نشأة ثقافة متماسكة منعزلة بين رجال الشرطة، يميّزون فيها أنفسهم عن المجتمع المحيط بهم تمييزاً شديداً، وتتطور هذه العقلية إلى الحد الذي ينظر فيها رجال الشرطة إلى المواطنين على أنهم مصدر متاعب، أو أنهم «أعداء»، فيعزلون أنفسهم عن باقي المجتمع.

ويتعمق هذا الإدراك بوجود إدراك مقابل من الجمهور ضد رجال الشرطة، وبمرور الوقت وفي كل وقت يشعر فيه رجل الشرطة بعداء المواطن له، تقوى علاقته ورابطته ببيئة العمل التي تحيط به، وتضعف بالتالي علاقته مع المواطنين ثم بالمجتمع ككل.. والفساد هنا قد يكون سبباً أو نتيجة لفصل الشرطة عن المجتمع، فانعزال الشرطة عن المجتمع يؤدي إلى انحراف قيم رجالها عن قيم المجتمع الكبير.

خامساً: انتشار ثقافة الفساد وضعف معنويات رجال الشرطة الشرفاء:

ركزت بعض الدراسات على الآثار المحدودة للأفعال الفاسدة من قِبَل رجال الشرطة، على اعتبار أنها أفعال لا تسبّب إيذاء مباشراً للناس، وانتهت هذه الدراسات إلى القول: إن «من أهم آثار الفساد لمثل هذه الأفعال هو انتشار ثقافة الفساد التي تحث على مزيد من الأفعال الفاسدة مستقبلاً، وتحطيم معنويات رجال الشرطة المخلصين في أداء أعمالهم، واقتناعهم بأن القانون يُطبَّق على بعضهم دون البعض الآخر، كما يزيد من احتمالات عقلنة أو تبرير السلوكيات الفاسدة».

والواقع أن آثار الفساد السلبية قد تمتد بالفعل إلى رجال الشرطة الشرفاء الذين يحاولون أداء ما هو مطلوب منهم بكفاءة وفاعلية، فهذا الفساد يدمر معنوياتهم، فهم يبذلون أقصى طاقاتهم للقبض على المجرمين المطلوبين للعدالة، ثم يفاجَؤون بأن بعضاً من الضباط الفاسدين أتاحوا أمام هؤلاء المجرمين فرصة للهرب مقابل مبالغ مالية كبيرة، وهذا الفساد من شأنه أن يضغط على الضباط الشرفاء ليتبنوا موقفاً غير أمين تحت شعار: «إذا لم تتمكن من التغلب عليهم فالحق بهم».

من هنا تبرز أهمية العناية برجال الشرطة الشرفاء، فهم من أقوى العوامل في محاربة الفساد في الجهاز الشُّرطي، إنهم يشهدون بأنفسهم مظاهر الفساد، ويلمسون الآثار المدمرة لهذا الفساد، ويتوافر لديهم الدافع للإبلاغ عما يشاهدونه.. ولابد من دعم هؤلاء الرجال بصفة مستمرة وتشجيعهم على مواجهة الفاسدين من زملائهم.

سادساً: التأثيرات النفسية والاجتماعية للفساد الشرطي على الضحايا والمجتمع:

يركز باحثون آخرون على نقطة مهمة أغفلها العديد من الدراسات التي تتناول ظاهرة الفساد الشُّرطي، وهي أنها لم تُلقِ الضوء على الآثار الاجتماعية والنفسية التي يتركها هذا الفساد على الضحايا والمجتمع.

ويرتبط التعذيب النفسي ارتباطاً شديداً بالتعذيب البدني، ولكنه أقل ظهوراً، ولا يلتفت إليه الكثيرون من الناس لدقته وسهولة إخفائه، وعدم ظهوره.

والفروق بين التعذيب البدني والتعذيب النفسي غير واضحة تماماً، فالتعذيب البدني هو استخدام وسائل من شأنها أن تسبب ألماً ومعاناة حادة على جسد الشخص، وذلك بالتحكم في احتياجاته، كالنوم والغذاء والإخراج، وذلك على النقيض من التعذيب النفسي الذي يوجَّه مباشرة إلى النفس، وهو أطول أمداً في تأثيره.

يصيب التعذيب النفسي الأفراد الذين يتعرضون للتعذيب بضغوط ما يعرف بـ«اضطراب ما بعد الصدمة»[1]، بالإضافة إلى تغذية الشعور بالكراهية، والغضب، و«الإرهاب»، والإحساس بالعار، والشعور بعقدة الذنب.

ويوجَّه التعذيب النفسي أساساً إلى تدمير البناء النفسي والعقدي للشخص، والتأثير على سلامته العقلية، وذلك عبر عدة مناهج محددة، منها تحطيم العمليات الإدراكية للشخص بحيث يكون غير قادر على أن يحتفظ بالإحساس المعتاد لحدود شخصيته، واستقلاليته كإنسان، ويكون غير قادر على التفرقة بين الأصدقاء والأعداء، أو بين الحب والكراهية.

يؤثر التعذيب على الضحايا اجتماعياً بدرجة كبيرة، حيث يحطم فيهم الإحساس بالأمن والعدالة، والاتصال الجيد بالآخرين، ويُفقد الشخص علاقته بالواقع، وكذلك إحساسه بأسرته وممتلكاته وأحبائه وأصدقائه، ويجعله شخصاً مغترباً غير قادر على الاتصال بالآخرين أو التعاطف معهم.

ولا يتوقف تأثير التعذيب على الفترة التي تعرض فيها لهذا التعذيب، لكنه يمتد حتى فترة ما بعد إطلاق سراحه، حيث يعيش في حالة يسيطر عليه فيها الإحساس بالعجز

والوهن، وفقد القدرة على ضبط النفس، ونقصان الانتباه، والأرق...إلخ.

علاج ظاهرة الفساد

صممت «سنغافورة» برنامجاً لاستئصال الفساد، فقامت بوضع مجموعة من المقاييس للتطبيق على جميع وحدات الشرطة، أهمها ما يلي:

- تطوير مناهج عمل محسنة.
- زيادة قدرة وفاعلية الرؤساء على محاسبة مرؤوسيهم حتى يكون الضابط الأعلى قادراً على مراجعة ورقابة عمل الأفراد الذين يعملون تحت إمرته.
- تناوب الضباط العاملين في الوحدات، بحيث لا يعملون في مكان واحد لمدة طويلة.
- القيام بتفتيش مفاجئ على وحدات الضباط ومراجعة أعمالهم.
- منع الأشخاص غير العاملين وغير المتعاملين مع وحدات الشرطة من دخولها.
- إعادة النظر في مقاييس مكافحة الفساد كل ثلاث أو خمس سنوات، بهدف تقويم هذه المقاييس وتحسينها.

ويضيف الخبراء عدة وسائل أخرى لعلاج الفساد الشُّرطي، نذكر منها الآتي:

- وضع إستراتيجيات متنوعة لإصلاح الجهاز الشُّرطي على امتداد فترات زمنية محددة.
- تحسين ظروف بيئة العمل، وتنظيم ساعاته بحيث لا يعمل رجل الشرطة عدة ساعات متواصلة تشكل جهداً شديداً عليه.
- إمداد رجال الشرطة بالوسائل المدعمة لهم بحيث لا يضعفون أمام محاولات المغريات؛ كزيادة رواتبهم، وحماية عائلاتهم، وتأمين وظائفهم، ومختلف أشكال الدعم الاجتماعي الأخرى.
- يجب أن يكون المديرون قادرين على حماية أفرادهم الشرفاء حتى لا يتعرضوا للأذى في حال إبلاغهم عن حالات فساد شهدوها.
- الاهتمام بالتعليم والتدريب المستمر والمحاسبة والإشراف في مختلف مراحل عمل رجل الشرطة وخاصة في السنوات الأولى من سياقه المهني، ويجب أن يتضمن هذا التعليم والتدريب برامج تتناول خطورة الفساد.
- العناية بتدعيم الأخلاقيات في جهاز الشرطة واحدة من أهم وسائل مكافحة ظاهرة الفساد، يقول «دان لوري» مسؤول التدريب في الشرطة الكندية: إن «التدريب الأخلاقي يُعَدُّ أحد أركان إستراتيجية التعامل مع ظاهرة الفساد الشرطي، وهناك حاجة ماسة إلى زرع الأخلاقيات في كل جوانب التدريب أكثر من الحاجة إلى تلقين رجال الشرطة محاضرات في الأخلاق».

مجرد تقاعس أحد رجال الشرطة عن إنفاذ القانون يُسيء إلى سمعة الجهاز كله ويُفقد الناس ثقتهم بجميع أفراده



وسائل محاربة الفساد

وقد اهتم مؤتمر «سكزجنو»، الذي أشرنا إليه سابقاً، بالكشف عن آثار الفساد، وجاء في تقريره الآتي:

«يؤدي الفساد في الدول النامية والحديثة العهد بالديمقراطية إلى التقليل من إمكانات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإمكانية التخفيف من حدة الفقر، وإلى تدمير النسيج الاجتماعي الثقافي، وإلى ضعف البنية التحتية من صحة وإسكان وغير ذلك، وإلى عدم الاستقرار الاجتماعي، وعدم سيادة القانون، وانعدام الأمن، وإلى إيجاد بيئة فاسدة سياسياً، وإلى الاستخدام غير الفعال للمصادر المتوافرة، بما فيها المنح المقدَّمة من الدول المتقدمة، وإلى إحجام إسهامات المستثمرين الأجانب في المشروعات الوطنية، وإلى انعدام الثقة بين الشرطة والشعب».

الوحشية البوليسية موجودة في مختلف دول العالم وهي واحدة من أنواع عدة من سوء السلوك الشُّرطي

..ومنها: القمع السياسي وإساءة استعمال المراقبة والاعتقال بدون سبب والتعذيب والتطهير العرقي والاعتداء الجنسي

أما عن الوسائل التي اقترحها المؤتمر المذكور لمحاربة الفساد الشُّرطي، فقد كانت على النحو التالي:

- وضع تشريعات جديدة تصف وتحدد الأفعال غير المناسبة «السياسية والشُّرطية»، وتطوير هيئة مراقبة لتحديد وضبط من يرتكبون أفعالاً فاسدة.
- تطوير مقاييس دقيقة ومناهج لاكتشاف الفساد، وعقد مقارنات بين جهود الدول المختلفة والعمل على تبادل المعلومات بين هذه الدول في هذا المجال.
- تطوير اتفاقيات دولية للتعامل مع الجرائم المنظمة والجرائم الأخرى، حتى لا يجد المجرمون سماء آمنة لأنشطتهم الفاسدة.
- التشديد على وضع العقوبات الحاسمة على الفاسدين في جهاز الشرطة.
- عدم استمرار العاملين في بعض



الإدارات الحساسة؛ كالجمارك ومكافحة المخدرات وغيرها، لفترة طويلة.

- اضطلاع الإعلام بدور مهم في الإعلان عن مظاهر الفساد، وكشف وتعرية الرموز الفاسدة، مع العمل على نشر تكاليف الفساد وآثاره السلبية على البلاد.

- مد الدول النامية بالمساعدات التي تساعدها على الحصول على الخبرات الفنية اللازمة لتحديد وضبط الفساد.

- تجنيد المواطنين العاديين وتدريبهم للمساعدة في أنشطة مكافحة الفساد.

تصوّر إسلامي

وضع الباحثون الإسلاميون خمس قواعد تتعرض لأسباب ومنهج علاج ظاهرة الفساد بصفة عامة، ومنها الفساد الشُّرطي، وهي على النحو التالي:

أولاً: إن المشكلة ليست في أن جهازاً من أجهزة الدولة قد فسد لفساد أخلاقيات أفراده، وإن إصلاح هذه الأخلاقيات هو السبيل لعلاج الفساد بداخله، إنما المشكلة هي مشكلة مجتمع قد فسد، ففسدت بالتالي كل أجهزته.

ثانياً: إن الفاسد رجل اختل ميزان الإخلاص والتجرّد في نفسه، ومتى اختل هذا الميزان اختلت القيم عنده، ولا يشعر بفساد عمله، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد يتأرجح بين أهوائه الذاتية، ولا يستند إلى قاعدة ربانية.. وهذا يعني أن كل صلة بين هذا الفاسد وبين الله مقطوعة، وكل ما أمر الله به أن يوصل مقطوع؛ لأن فطرته المنحرفة لا تستقيم على عهد ولا تستمسك بعروة، ومن ثم لا تتورع عن فساد.

ثالثاً: إن الفساد في الأرض ألوان شتى، تنبع كلها من عدم الانصياع لكلمة الله، ونقض عهده، ورأس الفساد في الأرض هو الحيدة عن منهج الله الذي اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها، وهذا مفرق الطريق الذي ينتهي إلى الفساد حتماً.

رابعاً: إن الدعوة إلى إصلاح أخلاقيات رجال الشرطة وغيرهم من العاملين في أجهزة الدولة يجب ألا تشغل المرتبة الأولى، إنما يجب أن يبدأ الإصلاح من الأساس، وينبت من الجذور، وأن يتركز الجهد أصلاً على إقامة مجتمع صالح يقوم على دين الله، بدلاً من التركيز على إصلاحات جزئية.

ونخلص من كل ذلك إلى إقرار حقيقتيْن مهمتيْن:

أولاهما: أن التصدي لحل مشكلة الفساد في الجهاز الشُّرطي وغيره من الأجهزة لن يجدي نفعاً، فلا جدوى أصلاً من الإصلاحات الجزئية، وإنما يجب أن يبدأ الإصلاح بإعادة إدخال الناس في الدين أولاً، ثم تقرير سلطة هذا الدين في المجتمع؛ فالناس لا يستجيبون لعقيدة ضائعة لأنها لا سلطة تحميها، وحين تستقر هذه السلطة يصبح إصلاح أجهزة الدولة مرتكزاً إلى أساس، أي أنه لا جدوى من ضياع الجهد في مقاومة المنكرات الجزئية في قطاع ما والمنكر الأصلي باقٍ، وهو منكر الجرأة على الله، وانتهاك محارمه، وتطبيق شريعة غير شريعته.

وثانيتهما: أن الله تعالى أعلم بعباده، وأعرف بفطرتهم، وأخبر بتكوينهم النفسي، فالقانون قانونه، والنظام نظامه، والمنهج منهجه، ليكون له في القلوب وزنه وأثره، ومخافته، ومهابته، وقد علم - سبحانه - أنه لا يُطاع أبداً شرعٌ لا يرتكن إلى هذه الجهة التي تخشاها وترجوها القلوب، وتعرف أنها مطلعة على خفايا السرائر وخبايا القلوب، وأنه مهما أطاع العبيد تشريع العبيد، تحت تأثير الرقابة الظاهرية التي لا تطلع على الأفئدة، فإنهم لا بد متفلتون منها كلما غفلت الرقابة عنهم، وكلما واتتهم الحيلة، مع شعورهم دائماً بالقهر والكبت والتهيؤ للانقاض كلما سنحت لهم الفرصة.

الخلاصة من كل ما سبق، أن كل ما يمكن اتخاذه من قواعد رقابية وعقابية لن يجدي نفعاً مع الفاسدين ما لم تكن هناك رقابة من التقوى في الضمير لتنفيذ هذه القواعد، وأن هذه القواعد الرقابية لا بد أن تكون صادرة من الجهة المطلعة على السرائر، والرقيبة على الضمائر..

عندئذ، عندما يشعر رجل الشرطة أو غيره، وهو يهمّ بفعل من أفعال الفساد أو ينتهك حرمة القانون، أنه يخون الله، ويعصي أمره، ويصادم إرادته، وأن الله مطلع على نيته هذه وعلى فعله، عندئذ يرتجف ويخاف، وتتحرك التقوى بداخله.■

لابد من دعم رجال الشرطة الشرفاء بصفة مستمرة وتشجيعهم على مواجهة الفاسدين من زملائهم

العناية بتدعيم الأخلاقيات في جهاز الشرطة في كل مجالات التدريب.. أحد أهم وسائل مكافحة ظاهرة الفساد

الهامش

(١) اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) مرض نفسي، ينتج عادة عن حالة من الرعب الشديد تصيب الشخص الذي تعرّض لحدث أو خبرة مؤلمة تعرّضت فيها حياته للتهديد.. والذين يعانون من هذا المرض يعيدون تذكر هذا الحدث أو هذه الخبرة بطريقة ما، ويحاولون تجنب الأماكن، والناس، وكل ما يذكرهم بهذه الخبرة، كما يكونون دوماً شديدي الحساسية لخبرات الحياة العادية.■

د. أحمد إبراهيم خضر

مقـــال



بقلم:

السفير د. عبدالله الأشعل (*)

عمرو موسى.. وحصاد الهشيم في الجامعة العربية

يُنهي عمرو موسى عشر سنوات في منصبه كرئيس لجامعة الدول العربية في ١٤ مايو القادم (٢٠١١م)، ولذلك فقد آن الأوان لتقييم أدائه في الجامعة، وهذا هو المقال الأول في هذه السلسلة..

(*) مساعد وزير الخارجية المصري الأسبق

لكن مواقفه الحقيقية سوف يتم تسجيلها؛ سواء بالنسبة للعراق واحتلاله، أو بالنسبة للملف الفلسطيني واللبناني والسوداني والكيان الصهيوني، إضافة إلى مضمون العمل العربي المشترك الذي تم إفراغه من مضمونه تماماً، وصارت اجتماعات القمة تثير شكوك الشعوب العربية كافة.

فعندما تولى عمرو موسى أمانة الجامعة العربية في ١٥ مايو ٢٠٠١م، كانت الظروف العربية مواتية - ربما لأول مرة منذ الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠م - لإنعاش الجامعة العربية، كما كان هو نفسه قد صنع صورة لم يسبق لها مثيل في الرأي العام العربي الذي كان يبحث عن بطل، ولذلك عندما هاجم عمرو موسى «الهرولة العربية» نحو التطبيع، وكان يقصد بذلك الأردن في بداية تسعينيات القرن الماضي، أطلق الملك حسين على موسى لقب «فارس العرب».

هكذا جاء عمرو موسى إلى الجامعة العربية، ومعه أوراقه الشعبية وتاريخه وإنجازاته بوزارة الخارجية المصرية، وسط ظرف عربي يسمح بالإنجاز ويخدع بالنتائج، حتى أن الشاعر المصري «فاروق شوشة» اعتبره في قصيدة مهداة إليه في تلك المناسبة مثل «المسيح» عليه السلام؛ إذ قال فيها:

يا قادماً مثل المسيح
يُعيد للجسم المسجَّي روحه

ولابد أن الشاعر قد أُصيب الآن - بعد عشرة أعوام - بخيبة أمل كبيرة!

مقومات الموقف

وبصرف النظر عن الانكسار الذي داخل عمرو موسى بسبب نقله من عرينه المصري إلى التيه العربي، فإن مقومات الموقف كانت تبشر بالكثير.. فقد كانت «قمة عمّان» عام ٢٠٠١م أول تطبيق لمبدأ دورية القمة التي اعتبرها بعضهم أكبر إنجازات القرن، وكان الحماس لـ«انتفاضة الأقصى» على أشده، فماذا كان يحدث في المعسكر الآخر الذي أدى إلى كل هذا التراجع والانكسار العربي، وإلى أزمات لـ«عمرو موسى»؛ أفدحها جلوسه في مكان رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» حين انصرف غاضباً بسبب أكاذيب الرئيس الصهيوني «شيمون بيريز» في منتدى «دافوس» الاقتصادي أواخر يناير ٢٠٠٩م؟

كانت بداية مخطط المعسكر الآخر انتخاب «آرييل شارون» رئيساً للحكومة الصهيونية في فبراير ٢٠٠١م، الذي لا أشك في أنه كان شريكاً في أحداث ١١ سبتمبر في العام ذاته، والتي قصمت ظهر العرب والمسلمين، ويجني الصهاينة حتى الآن ثمارها بينما يتجرع العرب حنظلها.

وقد بدأ السهم الصهيوني يصعد بشدة بسبب تلك الأحداث التي غيّرت الجغرافية السياسية للمنطقة، كما غيّرت معها معطيات الواقع العربي، حتى إذا أفاق العرب من زلزال سبتمبر وجدوا أمامهم المشروع الصهيوني يطالب بآخر استحقاقات سبتمبر!

انحسار الأضواء

ولعل من المناسب أن نورد في عجالة الآثار الكبرى لهذه الأحداث؛ أولها تسليم المنطقة العربية بأن المقاومة «إرهاب»، وأن «شارون» - عميد الإرهابيين في كل العصور - هو بطل السلام، كما أشار أحد الرؤساء العرب في انقلاب مفاجئ في موقفه من السفاح الصهيوني؛ فتمكن «شارون من إعداد» عدته للقضاء على الانتفاضة.

وكان ذلك يتطلب استبدال «محمود عباس» برئيس السلطة الفلسطينية الراحل «ياسر عرفات»، وأن تستمر التداعيات حتى تنشق الأرض بين حركتَيّ «فتح» و«حماس» بفتنة الانتخابات، وأن تعلو أسوار العداء بينهما حتى يتحقق رهان الصهاينة على إنهاء الموقف الفلسطيني الموحد.

وأدى الهجوم على المقاومة الفلسطينية، وتجفيف منابع الدعم لها، ومطاردتها إلى «محرقة غزة» وحصار أهلها حتى اليوم، ثم التداعي إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني رغم إعلان حكومته الرسمي تصفية القضية الفلسطينية، والتراجع المخيف لدور الجامعة، ووصول عمرو موسى إلى آخر الحوائط، وانحسار الأضواء عنه والتراجع اللافت في شعبيته داخل مصر قبل الدول العربية.

أُضيف إلى المأساة في الساحة الفلسطينية الغزو الأمريكي للعراق، وتبعاته المدمرة لآمال الجميع وأولهم عمرو موسى، والعجز المطبق



للجامعة العربية عن أي دور لا تدعيه في ظل غياب عربي مخيف وتمزيق للعراق، بل ومحاولات تجنيد العرب لخدمة المشروع الصهيوني والأمريكي ضد إيران، ولذلك لم يَجِدْ تصريحه عن حوار عربي إيراني أي اهتمام عربي؛ بل إنه عندما فرضه على أجندة قمة «سرت» العربية (في ليبيا) واجه نقداً قاسياً من دول كثيرة.

ثم جاء العدوان الصهيوني على لبنان في يوليو ٢٠٠٦م، والذي كشف عن عورات النظام العربي الرسمي، الذي بدا مساندا لهذا العدوان ضد المقاومة لمجرد أن إيران تساندها.

ولم يختلف الموقف العربي المأساوي في لبنان عنه خلال محرقة غزة (ديسمبر ٢٠٠٨ - يناير ٢٠٠٩م)، ولا يزال.

تساؤلات عديدة

شهدت المنطقة أحداثاً جسيمة من توابع ١١ سبتمبر؛ في السودان (دارفور والجنوب)، والصومال، والعراق، ولبنان.. وهكذا علا نجم المشروع الصهيوني، وانطفأت أنوار المشروع العربي، وخفت معه صوت عمرو موسى وآماله، بعد أن أصبح العرب والمسلمون هم «الإرهاب» بعينه!

هكذا قضت أحداث سبتمبر على آمال العرب ومنهم عمرو موسى، وسوف يذكر التاريخ أن «شارون» هو آخر ملوك «بني إسرائيل»، وعمرو موسى هو آخر فرسان العرب في عصر العولمة، بعد أن فرّ منه حصانه في عصر الحمير والقوارض.

إن «عمرو موسى» تولى أمانة الجامعة العربية في بداية العقد جثة هامدة، ويغادرها والعالم العربي يدخل مرحلة تفتيت الأوطان العربية.. فماذا حدث خلال العقد الأول من هذا القرن؟ ولماذا سكت عمرو موسى على هذه الفاجعة؟ وهل تُقدِّم مذكراته تفسيراً لهذا التحول التاريخي الذي يؤدي استمراره إما إلى اختفاء الجامعة أو ازدهارها من جديد؟

لقد قامت الجامعة للدفاع عن القضية الفلسطينية، فماذا عساها تفعل مع الضياع المنظم والمخطط لفلسطين؟!■

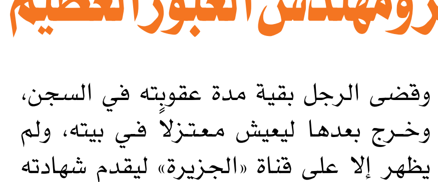
شاءت إرادة الله أن يظل حياً حتى العاشر من فبراير ٢٠١١م، ليرى ما جرى لمن أهانه ونكّل به، وكان أحد مرؤوسيه في حرب العبور الظافرة في رمضان ١٣٩٣هـ/ أكتوبر ١٩٧٣م، للأسف لم يعش حتى السادسة مساء اليوم التالي ليرى مرؤوسه وهو يولي الأدبار أمام هدير الجماهير الغاضبة التي تطالب بإسقاط النظام.

سعد الدين الشاذلي.. بطل المآذن العالية!

البطل الأول لحرب أكتوبر ومهندس العبور العظيم



أ.د. حلمي محمد القاعود (*)



كان بطل خطة المآذن العالية «سعد الدين الشاذلي»، ورئيس الأركان في الجيش المصري، والقائد الميداني لحرب رمضان، الرجل الوحيد الذي لم يكرّمه النظام المصري الساقط، ولم يكتف هذا النظام بالجحود تجاه الرجل الذي أذل العدو في الميدان، ولكن لاحقه بالمحاكمات، وأدخله السجن، ولم يعبأ بما قاله القضاء.

لقد تم تجاهله في الاحتفالية التي أقامها مجلس الشعب المصري لقادة حرب أكتوبر، وتسلموا فيها من الرئيس «أنور السادات» النياشين والأوسمة، مع أن دوره كان كبيراً في إعداد القوات المسلحة المصرية، وفي تطوير وتنقيح خطط الهجوم والعبور، واستحداث أساليب جديدة في القتال، وفي استخدام التشكيلات العسكرية المختلفة، وفي توجيهاته التي تربى عليها قادة وجنود القوات المسلحة المصرية.

بعد ١٤ عاماً قضاها في المنفى بالجزائر، عاد إلى مصر عام ١٩٩٢م، وقُبض عليه فور وصوله مطار القاهرة، وأُجبر على قضاء مدة حكم بالسجن، حُكم بها عليه دون محاكمة، مع أن الأحكام الغيابية تخضع لمحاكمة أخرى.

لقد وجهوا للفريق الشاذلي تهمتين، الأولى: نشر كتاب بدون موافقة مسبقة عليه، واعترف «الشاذلي» بارتكابها، أما التهمة الأخرى: فهي إفشاء أسرار عسكرية في كتابه، وأنكر «الشاذلي» صحة هذه التهمة بشدة.

وقد استطاع فريق من المحامين الحصول على حكم قضائي من أعلى محكمة مدنية، ينص على أن الإدانة العسكرية السابقة غير قانونية، وأن الحكم العسكري الصادر ضده يعدّ مخالفاً للدستور، وأمرت المحكمة بالإفراج الفوري عنه، ومع ذلك لم يُنفَّذ هذا الحكم، وقضى الرجل بقية مدة عقوبته في السجن، وخرج بعدها ليعيش معتزلاً في بيته، ولم يظهر إلا على قناة «الجزيرة» ليقدم شهادته على العصر.

الفريق «الشاذلي» من طراز عسكري رفيع، وسجله يشير إلى رجل محترف، لم يشأ أن ينشغل بالسياسة مثلما فعل بعض زملائه الذين غرقوا في الصراعات السياسية إلى آذانهم، وقادوا البلاد إلى هزيمة منكرة ما زلنا نعاني من آثارها حتى اليوم.

لقد أسس «الشاذلي» (ولد عام ١٩٢٢م في قرية شبرا تنا بمركز بسيون محافظة الغربية)، أول فرقة مظليين في الجيش المصري، وقادها في الفترة من ١٩٥٤إلى ١٩٥٩م، وكان قائداً لأول قوات عربية في الكونغو تحت علم الأمم المتحدة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦١م، وقائداً للواء مشاة من ١٩٦٥ - ١٩٦٦م، وقائداً للقوات الخاصة (المظلات والصاعقة) من عام ١٩٦٧ - ١٩٦٩م، وقائداً لمنطقة البحر الأحمر العسكرية من عام ١٩٧٠ - ١٩٧١م.

ثم صار رئيساً للأركان العامة للجيش، أي القائد الميداني للجيش، من عام ١٩٧١ - ١٩٧٣م، وفي هذه الفترة عرف الضباط والجنود كيف ينضوون تحت لواء جيش محترف يتكامل فيه جهد الضابط والجندي، وقد كنت بفضل الله مجنداً مستبقى في هذه الفترة، فرأيت كيف يكون الجندي مساوياً للضابط في القيمة والإنسانية، وكيف يطبق القانون العسكري على الضباط مثل الجنود داخل المعسكرات وخارجها، ولم يبخل الرجل في تقديم الكتيبات واحداً تلو الآخر لتعريف الجنود والضباط بواجباتهم وحقوقهم وكيفية التصرف في المواقف الصعبة، وكيف يكون الفرد مدرباً على التعامل مع العدو، ومعرفة لغته العبرية كي يستطيع توقيفه وأسره وفهم غاياته وأهدافه.

بعد تنحّيه طالب بعض أعوان الرئيس المخلوع «مبارك» بعدم إهانته باعتباره بطلاً من أبطال حرب أكتوبر.. وتناسوا أن رئيسهم أهان قائده والبطل الأول للحرب

كان «الشاذلي» جندياً محترفاً بحق، فهو الذي استطاع أن ينسحب عام ١٩٤١م من الصحراء الغربية في الحرب العالمية الثانية وهو برتبة ملازم، بعد أن دمر المعدات العسكرية للجيش المصري والجيش الإنجليزي، كي لا يستفيد منها الألمان الذين كانوا يتقدمون نحو الإسكندرية.

وهو الجندي المحترف الذي قاتل ببسالة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وكانت القوات العربية توشك على النصر لولا المؤامرة الدولية والخيانة الداخلية، فعاد من أرض المعركة يحلم بيوم تحرير فلسطين من أنياب العدو الغاصب.

وهو الجندي المحترف الذي استطاع في يونيو ١٩٦٧م أن يدخل فلسطين المحتلة، وكان الجيش المصري عن بكرة أبيه قد انسحب وعاد إلى غرب القناة، ولكن «الشاذلي» لم ينسحب إلا بعد أن توالت عليه النداءات من القيادة بالانسحاب، فقد كان يقود وحدة من القوات المصرية الخاصة المعروفة باسم «مجموعة الشاذلي» في مهمة لحراسة وسط سيناء، ووسط أسوأ هزيمة شهدها الجيش المصري في العصر الحديث، وانقطاع الاتصالات مع القيادة المصرية، ونتيجة لفقدان الاتصال بين «الشاذلي» وبين قيادة الجيش في سيناء؛ فقد

(*) أستاذ الأدب والنقد

اتخذ قراراً جريئاً وعبَرَ بقواته الحدود الدولية إلى فلسطين المحتلة قبل غروب يوم ٥ يونيو، وتمركز بقواته داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بحوالي خمسة كيلومترات، وبقي هناك يومين إلى أن تم الاتصال بالقيادة العامة المصرية التي أصدرت إليه الأوامر بالانسحاب فوراً، فاستجاب لتلك الأوامر، وبدأ انسحابه ليلاً قبل غروب يوم ٨ يونيو في ظروف غاية في الصعوبة، أهمها أنه كان يسير في أرض يسيطر عليها العدو تماماً، ومن دون أي دعم جوي، وبالحدود الدنيا من المؤن، واستطاع بحِرَفية نادرة أن يقطع أراضي سيناء كاملة من الشرق إلى الشاطئ الغربي لقناة السويس (حوالي ٢٠٠ كم)، وقد نجح في العودة بقواته ومعداته إلى الجيش المصري سالماً، وتفادى النيران «الإسرائيلية»، وتكبد خسائر محدودة بنسبة ١٠٪ إلى ٢٠٪، فكان آخر قائد مصري ينسحب بقواته من سيناء.

وفي فترة رئاسته للأركان، وضع خطته للهجوم على العدو واقتحام قناة السويس التي سماها «المآذن العالية»، على أساس أن ضعف الدفاع الجوي المصري يمنع من القيام بعملية هجومية كبيرة.. ولكن من قال: إنه لابد من القيام بعملية هجومية كبيرة..؟ من الممكن القيام بعملية محدودة، بحيث يتم عبور القناة وتدمير خط «بارليف» واحتلال من ١٠ إلى ١٢ كيلومتراً شرق القناة، وبعدها تتكرر الهجمات أو القفزات داخل الأرض المحتلة حتى يتم تحريرها تماماً.

نقاط ضعف العدو

وكانت فلسفة هذه الخطة تقوم على أن للعدو مقتلين؛ الأول: هو عدم قدرته على تحمل الخسائر البشرية؛ نظراً لقلة عدد أفراده.. والآخر: هو إطالة مدة الحرب، فالكيان الصهيوني في كل الحروب السابقة كان يعتمد على الحروب الخاطفة التي تنتهي خلال أربعة أسابيع أو ستة أسابيع على الأكثر؛ لأنهم خلال هذه الفترة يقومون بتعبئة ١٨٪ من سكانهم، وهذه نسبة عالية جداً، ثم إن الحالة الاقتصادية تتوقف تماماً في الكيان الصهيوني، وكذلك التعليم والزراعة والصناعة؛ لأن معظم الذين يعملون في هذه المجالات ضباط وعساكر مجندون؛ ولذلك كانت خطة «المآذن العالية» تقوم على استغلال هاتين النقطتين.

وعندما يعبر الجيش المصري القناة، ويحتل مسافة بعمق ١٠- ١٢ كم شرق القناة



بطول الجبهة (حوالي ١٧٠ كم)؛ سيحرم العدو من أهم ميزتين؛ الأولى: «حرمانه من الهجوم من الأجناب، والمؤخرة، وسيضطر إلى الهجوم بالمواجهة وعندها سيدفع الثمن فادحاً».. الميزة الثانية: «تتمثل في فقدان العدو للدعم الجوي؛ لأن الجيش المصري سيكون في حماية الصواريخ التي يملكها الدفاع الجوي المصري».

في يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ/ ٦ أكتوبر ١٩٧٣م في الساعة ١٤٠٥ (الثانية وخمس دقائق ظهراً)، شن الجيشان المصري والسوري هجوماً كاسحاً على العدو، بطول الجبهتين، ونفذ الجيش المصري خطة «المآذن العالية» التي وضعها الفريق «الشاذلي» بنجاح غير متوقع، لدرجة أن «الشاذلي» يقول في كتابه «حرب أكتوبر»:

«**في أول ٢٤ ساعة** قتال لم يصدر من القيادة العامة أي أمر لأي وحدة فرعية.. قواتنا كانت تؤدي مهامها بمنتهى الكفاءة والسهولة واليسر، كأنها تؤدي طابور تدريب تكتيكي».

بعد أيام من الانتصار، حدثت الثغرة في «الدفرسوار»؛ نتيجة تدخل السياسة في العسكرية، وصدر وقف إطلاق النار، وتم تسريح «الشاذلي» من الجيش في ديسمبر ١٩٧٣م، وتعيينه في السلك الدبلوماسي سفيراً لمصر في بريطانيا ثم البرتغال، ووقّع «السادات» اتفاقية «كامب ديفيد»، التي انتقدها «الشاذلي» بشدة، فهاجمه الإعلام الحكومي وتم تقديمه غيابياً إلى المحاكمة بحجة إذاعة أسرار عسكرية، بعد أن كتب «الشاذلي» مذكراته التي نشرتها مجلة «الوطن العربي» مسلسلة في باريس، ولجأ «الشاذلي» إلى الجزائر، قضى هناك أكثر من عشر سنوات، عاد بعدها إلى مصر ليقتاده النظام البائد إلى السجن، وأصرّ النظام على استمراره في السجن حتى انتهاء المدة، مع أن محكمة الاستئناف قد برّأته.

خرج «الشاذلي» من السجن معتزلاً، يعيش في بيته المتواضع، ولم يظهر إلا على قناة «الجزيرة» التي طرح من خلالها آراءه وأفكاره في سياق توضيح مواقفه وتصوراته.. لقد كان التركيز الإعلامي منصبّاً على بطل الضربة الجوية الأولى وحده، أما البطل الأول فقد تجاهله النظام البائد، وعتّم عليه، وأقصاه، ولم يرد ذكره أبداً، بل تحول على أطراف بعد الأقلام المنافقة إلى شيء آخر!

في معرض إقناع الرئيس السابق بالتنحّي، قال بعض أعوانه: إنه يجب ألا نهين بطلاً من أبطال حرب أكتوبر، ونحن معهم في ذلك، ولكنهم تناسوا أن رئيسهم المخلوع قد أهان قائده والبطل الأول لحرب أكتوبر، وهو «سعد الدين الشاذلي».

تعتيم على الجنازة

كانت جماهير الثورة في «ميدان التحرير» تريد تشييع جثمان «الشاذلي» في جنازة مليونية، ولكن أعوان النظام شيّعوه من مسجد صغير في مصر الجديدة، وعتّموا على مكان المسجد وموعد الجنازة التي لم يحضرها مسؤول بارز، وكذا لم يحضر العزاء مسؤول مهم.. الضباط الشجعان هم الذين شيّعوه وحضروا عزاءه، والشعب المصري هو الذي احتضنه، وعرف قيمته بطلاً ومجاهداً وأستاذاً عالمياً في الفن العسكري، ويكفيه أنه قدّم مجموعة من الكتب العسكرية المهمة، منها كتابه المهم «حرب أكتوبر»؛ الذي يضم مذكراته وأحداث هذه الحرب، بالإضافة إلى كتبه حول «الخيار العسكري العربي»، و«الحرب الصليبية الثامنة»، وقد سجل فترة عمله سفيراً في كتابه «أربع سنوات في السلك الدبلوماسي».

رحم الله «سعد الدين الشاذلي»، وهيأ له من يحتفي به من الأمة احتفاء يليق به، ويضعه في مكانته الحقيقية التي حاول الطغاة زحزحته عنها.■

إلى الأحرار الأبطال في مصر الكنانة

إن إخوانكم الكرد حفدة صلاح الدين الأيوبي، يشدّون على أيديكم ويرفعون أكف الضراعة إلى خالق السماوات والأرض أن يتم نصركم، ويسدد خطواتكم على طريق بناء مصر الحرية والكرامة وحقوق الإنسان والعدل وتكافؤ الفرص.

لقد غاب عن بال هؤلاء الطواغيت الظلمة الفاسدين الجالسين على صدور المصريين أن للصبر حدوداً، وأن غضبة الشعوب إذا انطلقت لا يقف في وجهها شيء، ولقد أثبتُّم أنكم بحق أبطال، وأنكم إذا وعدتم أو أوعدتم وفيتم بوعدكم أو وعيدكم.

لقد قمتم بثورة غضب على فرعون مصر وجلاوزته و«بلطجيته» وأزلامه، هذا الغضب الذي هزّ عروشاً وأصاب طواغيت وحكاماً غير شرعيين من المحيط إلى المحيط في مقتل، فراحوا يقدّمون الرشاوى التافهة لشعوبهم المسحوقة المترقّبة للتوثّب والإجهاز، ويحاولون إحكام قبضتهم التي تراخت إلى درجة الشلل على الأوضاع، بدلاً من إجراء إصلاحات جذرية، لعلها تمدّ في عمرهم! ولكن هيهات هيهات لما يحلمون، فقد أزفت الآزفة، واقتربت ساعة محاسبة الشعوب لهؤلاء الحكام الدمويين المتسلطين الناهبين لخيرات الشعوب بغير وجه حق، الزاجّين بأحرار الأمة وشرفائها وراء القضبان، أو تسببوا في هجرة قسرية لآلاف مؤلفة منهم عن أوطانهم منذ عقود.

إن صمودكم واستبسالكم كان كافياً لأن يجعل فرعون مصر ينهار وتخرّ قواه، ويعلن التنحي عن الحكم، ويفرّ أفراد أسرته والعصابة الفاسدة المحيطة به من مصر، بما وقع تحت أيديها من مال حرام هو قوت الشعب وحقه.

سيروا على بركة الله، واستمسكوا بحبله المتين، وتمسكوا بوحدتكم الوطنية، واضربوا على أيدى الفاسدين والمتربّصين باستقرار مصر وأمنها ومكتسباتها، وحُولوا بينهم وبين سرقة جهود الجماهير المصرية الأبيّة.■

أكراد سورية



ثقافة الاستبداد في رمقها الأخير

في بلداننا العربية، وعلى امتداد تاريخها ورثت ثقافة الحاكم الطاغي، ورضيت الشعوب بهذه الثقافة وتفاعلت معها، ومع مرور الزمن، صارت جزءاً من ثقافتها، ثقافة الحاكم الأوحد، ثقافة العارف الوحيد، ثقافة الحاكم الطاغي والمستبد..

وحدثت ثورات كثيرة ضد ذلك، ولكن كانت الغلبة دائماً لتلك الثقافة، فقد بنيت ثقافة تلك الأنظمة على أسلوب يكاد يكون واحداً في جميع مراحله، فما أن ينتهي حكم ليحل مكانه طاغ آخر، يستفيد من أسباب سقوط الطاغية الذي سبقه، فيتحاشاها ليكون أسوأ من سابقه، وتكون النتيجة التشتت والتمزق بين كيانات الوطن، والتعذيب والقتل والتشريد، ومسح المعارضين من الوجود، ليعقبه احتلال أجنبي للبلاد، ويمزق ترابها وتتعدد مزارعها الخاصة للطغاة فيها.

ولكن بدأت تتسلل إلى عقول المجتمع ثقافة أخرى متناقضة، ثقافة مبدؤها السلام والتعايش بين فئات المجتمع، ثقافة الوعي بالذات، ثقافة الحب والروابط الاجتماعية، والتي تربط كل أفراد المجتمع برباط واحد، هو رابط تراب الوطن.

هذه الثقافة إن كتب لها النجاح، وزاد معتنقوها، سيكون لها أثر طيب وبناء في المستقبل القريب، ولكن ستجد أمامها صعوبات كثيرة، هذه الصعوبات ستزول تدريجياً في حال الإصرار على تبنيها وتشكيلها بما يتلاءم مع مجتمعنا العربي والإسلامي.

والفضل الكبير لخروج هذه الثقافة للعلن هو الشعب التونسي الرائع، والذي نبه الأمة الغافلة، والنائمة منذ قرون، ليقول لها، ولمفكريها وحكامها: هنا تنبع ثقافتنا، ومن بين أضلعنا، وليس هناك استيراد لها من مكان ما.

ودعم الشباب المصري البطل هذا الاتجاه، وانتفضوا ليغيروا التوارث القديم وكأن الشعبين التونسي والمصري نسخة واحدة في التحرك، فلم يحملوا لافتات حزبية، ولا لافتات عقدية، وإنما راية الوطن وعلمها، وبدون سلاح، ووقف العالم والنظام عاجزاً عن اتهامهم بتهم منسوبة للمؤامرة.

وحتى تقف هذه الثقافة على قدميها عليها أولاً أن تعرف بوعي كامل من هم أعداء هذه الثقافة؟

فأعداؤها بالدرجة الأولى الأنظمة العربية، ومن يدعمها من الدول الغربية، هؤلاء الأعداء أرادوا أن يطمسوا الظهور



الجديد، عن طريق ثقافتهم التي شاهدها العالم أجمع، إنها ثقافة الجمال والبغال والحمير والمجرمين والقتلة.

بينما هذه الثقافة المنبثقة من روح الأمة، برهنت للعالم أجمع، أن الشعب يجمعه الحب والوطن، وكيف بدا للعيان أن المصري المسلم يصلي، وأخوه في الوطن المسيحي يحرسه، لتثبت لنا وللأمة، أن الذي يفرقنا إنما هي سياسة الاستبداد والتي ورثوها من الاستعمار (فرق تسد).

وبدأت تحل مكانها ثقافة شابة صاعدة، عنوانها الحب والوئام والسلام بين المجتمع بكافة فئاته.

وبانتصار هذه الثقافة، الشابة الممتدة عبر أرجاء الوطن العربي، نستطيع أن نبني الأمة كلها، وفيها لن تجد عائقاً للوحدة بين الدول العربية، ولن يشعر بمرارتها شخص أو فئة ما، لأن خيرها سيمتد للجميع.■

د. عبد الغني حمدو

أنصفوا مصر..

من سوء حظ مجموعة كبيرة من الشباب العربي أنهم لم يعيشوا فترة ريادة مصر.. تلك الفترة كانت فيها مصر مثل الرجل الكبير تنفق بسخاء وبلا امتنان، وتقدم التضحيات المتوالية دون انتظار للشكر.

هل تعلم يا بني أن جامعة القاهرة وحدها قد علمت حوالي مليون طالب عربي ومعظمهم بدون أي رسوم دراسية؟! بل وكانت تصرف لهم مكافآت التفوق مثلهم مثل الطلاب المصريين.

هل تعلم أن مصر كانت تبعث مدرسيها لتدريس اللغة العربية للدول العربية المستعمرة حتى لا تضمحل لغة القرآن لديهم، وذلك على حسابها؟

هل تعلم أن أول طريق معبَّد من جدة إلى مكة المكرمة كان هدية من مصر؟

حركات التحرر العربي كانت مصر هي صوتها، وهي مستودعها وخزنتها.

وكما قادت حركات التحرير؛ فإنها قدمت حركات التنوير.

وكما تألقت في الريادة القومية تألقت في الريادة الإسلامية.. فالدراسات الإسلامية، ودراسات القرآن، وعلم القراءات كان لها شرف الريادة.

وكان للأزهر دور عظيم في حماية الإسلام في حزام الصحراء الأفريقي..

أما على مستوى الحركة القومية العربية فقد كانت مصر أداتها ووقودها.

إن صغر سنك يا بني قد حماك من أن تذوق طعم المرارة الذي حملته لنا هزيمة ١٩٦٧م، ولكن هل تعلم عن الإرادة الحديدية التي كانت عند مصر يومها؟ أعادت بناء جيشها فحولته من رماد إلى مارد.

وفي ست سنوات وبضعة أشهر فقط نقلت ذلك الجيش المنكسر إلى أسود تصيح: الله أكبر، وتقتحم أكبر دفاعات عرفها التاريخ.. مليون جندي لم يثن عزيمتهم تفوق سلاح العدو ومدده ومَن خلفه.

هل تعلم أنه - ليس منذ القرن الماضي فحسب، بل منذ القرن قبل الماضي - كان لمصر دستور مكتوب.

شعبها شديد التحمل والصبر أمام المكاره والشدائد الفردية، لكنه كم انتفض ضد الاستعمار والاستغلال والأذى العام.

قبل اكتشاف البترول في الحجاز.. حدثت مجاعة وأمراض أزهقت الآلاف من الأرواح.. كتب «توفيق جلال» رئيس تحرير جريدة «الجهاد» المصرية في صدر صحيفته إلى «توفيق نسيم» رئيس وزراء مصر، كتب يقول: من توفيق إلى توفيق، في أرض رسول الله آلاف يموتون من الجوع وفي مصر نسيم!! أصدر توفيق نسيم أوامره فوراً، وعبرت المراكب تحمل آلاف الأطنان من الدقيق والمواد الغذائية، وآلافاً من الجنيهات المصرية، والتي كانت عملتها أعلى وأقوى من العملة البريطانية، غير الصرة السنوية التي كانت تبعث بها مصر.

الكويت.. كانت مصر تبعث بالعمال والمدرسين والأطباء والموظفين لمساعدة الأخوة بالكويت، بأجور مدفوعة من مصر.

ليبيا.. كانت جزءاً من وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية.

كل هذا لم يكن منة من مصر، لكن كان دعماً وواجباً وطنياً لأشقائها العرب.

مذكرات الثوري العظيم «أحمد بن بله» وقيادات الثورة الجزائرية تشهد، وهم يقولون: مهما قدمنا، وقدمت الجزائر لمصر؛ فلن نوفي حقها علينا وما قدمته لنا... كذلك ما قدمته مصر لثورة الفاتح من سبتمبر الليبية.. التضحيات الكبيرة والعظيمة، والتي لا ينكرها أبداً الشعب اليمني لما قدمته مصر لليمن، وحتى أشرف اقتصاد مصر على الانهيار.

مصر تمرض ولكنها لا تموت، إن اعتلت ومرضت اعتل العالم العربي، وإن صحت واستيقظت صحوا.

أيها الشباب، أعيدوا لمصر قوتها تتقذوا مستقبلكم.■

جميل فارسي
كاتب سعودي





بقلم: أ. د. عماد الدين خليل (*)

من أجل ذلك تنزّل هذا الدين

في العلوم الصرفة والتطبيقية يبدو الزمن عاملاً أساسياً في النضج والتقدم بحكم قانون تراكم الخبرة.. هذا ما شهدته علوم صرفة كالفيزياء والفلك والكيمياء وعلوم الحياة والأرض والهندسة والرياضيات.. فضلاً عن العلوم التطبيقية.

أما في حقول المعرفة الإنسانية فالأمر يختلف؛ إذ قد يكون هناك تنام في الخبرة، وقد يكون التوقف والسكون وربما الرجوع إلى الوراء.

هنالك - على سبيل المثال - شعراء في زمن بعيد كانوا أقدر بكثير - وبكل المعايير النقدية - من العديد من الشعراء المعاصرين.

وقس على ذلك حلقات شتى في المعارف الإنسانية كانت كشوفها في زمن مضى أكثر خصباً، وأعلى قيمة مما شهدته القرون التالية.

والحكم نفسه ينسحب على العقائد والمذاهب والفلسفات، فلا يعني مرور الزمن - بالضرورة - أن فلسفة أو مذهباً ما، نسجت خيوطهما في القرن العشرين، أكثر نضجاً واكتمالاً مما نسج في قرون خلت.

لقد تساقطت المذاهب الوضعية، والعقائد الشمولية، الواحدة تلو الأخرى، وانسحبت معظم الفلسفات إلى رفوف المكتبات وزوايا المتاحف لكي تكون مجالاً لدراسات الدارسين دون أن يكون لها أي ارتباط، بأي شكل من الأشكال، في صياغة واقع الحياة أو إعادة صياغته.

بعض المذاهب والعقائد ادعى أصحابها في لحظة نشوة كاذبة، بسبب اكتشاف حقيقة من الحقائق، أنها عقائد علمية، نهائية، لا يأتيها الباطل من بين أيديها ولا من خلفها، كالذي فعله «ماركس» و«إنجلز» في تسمية كشفهما بالاشتراكية العلمية التي تمثل سقف العالم والتاريخ؛ حيث لا تبدّل ولا تحوّل بعدها.. وكالذي ادعاه «هتلر» في «كفاحي» بأنه ينوي إقامة إمبراطورية «الألف عام» استناداً إلى نظريات «فخته»، وفلسفة «هيجل» المثالية، وإلى القدرة الجرمانية المتميزة التي لا يقف أمام إرادتها شيء(!!)، وكالذي نادى به «جان بول سارتر» في وجوديته التي قال: إنها الفلسفة الوحيدة التي تحقق إنسانية الإنسان.

أين هي هذه المذاهب الثلاثة؟ لقد خرجت الشيوعية من التاريخ، وهزمت النازية، وذبحت الوجودية على يد مؤسسها نفسه.

اليوم يقع الفيلسوف الأمريكي «فرنسيس فوكوياما» في الخطيئة نفسها، فيدعي نهاية للتاريخ يلقي فيها رحاله في ساحة الليبرالية الغربية متمثلة بأمريكا.. ثم ما يلبث هو نفسه، بعد أقل من عشر سنوات، أن يغيّر ويبدل في بعض قناعاته واستنتاجاته، لكي يؤكد لنا، كما تأكد لنا من مصائر المذاهب الثلاثة المشار إليها، أن الخبرة البشرية في الحقول الإنسانية خبرة نسبية، ضعيفة، متغيرة، وعاجزة تماماً عن اكتشاف المطلق وبلوغ الحقائق النهائية.

من أجل ذلك تنزلت الأديان.. من أجل أن تملأ هذه الفجوة في تاريخ المحاولات البشرية، وتضيء الصراط لكل الحيارى والضائعين، عبر منظومة من الحقائق الكلية والمطلقة، والتي لن يكون بمقدور الإنسان أن يحيط بها علماً؛ لأنها من إرادة الله سبحانه وعلمه اللامحدود.

ومن أجل ذلك كان الإسلام، رغم مرور أربعة عشر قرناً على نزوله، هو العقيدة الوحيدة القديرة على صياغة الحياة، أو إعادة صياغتها، بما يتوافق مع مطالب الإنسان والبشرية.

ومهما كرّت القرون، وتقلبت بالناس المذاهب والنظريات، فإن هذا الدين سيظل العقيدة الوحيدة الملائمة للإنسان والقادرة على خلاصه.■

(*) مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي